صوت الراوي

«الحكاية: ما يحكى ويقص، وقع أو تخيل و- اللهجة. تقول العرب: هذه حكايتنا »، مدخل البداية نقتبسه من المعجم المحيط. ولذا نقول هذه حكايتنا أي: قصتنا، وأصل السرد القصة، طالت أو قصرت، وهي ما تقوم عليه دورية **الراوي** في الجزيرة العربية، لكن المتتبع للساحة الثقافية، يشعر أن هناك إحجاماً وبخلاً عن نشر القصة القصيرة في المطبوعات الأدبية، ويقابلها ظاهرة الاحتفاء بالرواية!!، كأنما التحول والاهتمام أصاب الجميع إلى الشقيقة الكبرى، ونسينا في ظل هذه الإضاءات أن الأصل في الكتابة السردية للقصة القصيرة وهذا ليس شعاراً أو تحيزاً، لكن انجراف جماعي إلى شكل على حساب شكل آخر، من أجل أن يقال إن فلاناً من كُتّاب الرواية في القطر الفلاني!!، أو يصنف على أنه كاتب

عالمي، حيث إن الشهرة نالت كُتَّاب الرواية أكثر من كُتَّاب القصة القصيرة! والناشرون لهم الدور الكبير في ترسيخ هذا المبدأ، فاهتمامهم بالرواية أكثر من القصة القصيرة احتفاء وطباعة وتوزيعاً. من هذا المنطلق لم يعد القاص قاصاً، ولم تعد بداية أي كاتب سردي بالقصة القصيرة؛ لأن الرواية سمحت لكافة الكُتَّاب أن يقتحموا عالم السرد!! كل بحسب اتجاهه، ونحن هنا في **الراوي** نريد القاص قاصاً وروائياً، لا يهمل كتابته الأولى التي تميز بها وانفرد بها، حيث لا يزاحمه في كتابتها إلا جماعة السرد القصصي، بخلاف الرواية التي كتبها الجميع، فأضاع عليه مجداً ونجاحاً بناه في سنين طويلة. والقصة القصيرة التي لا تحتمل أوجهاً وتضاريس وطقوساً وأبعاداً واحتمالات لا قبل لها بها، هي الأقرب إلى قلم القاص من الروائي، وهي النفس والروح والنبض والأبقى. إذاً هي كذلك سمة **الراوي**، لأنها هي الحكاية.

خالد أحمد اليوسف

ضيف العدد(*)

ليلى العثمان

السيرة الذاتية

- قاصة وروائية من الكويت.
- متفرغة للكتابة.
- أصدرت العديد من المجموعات القصصية:

- امرأة في إناء (1976)
- الرحيل (1979)
- في الليل تأتي العيون (1980)
- الحب له صور (1982)
- فتحية تختار موتها (1987)
- حالة حب مجنونة (1989)
- 55 حكاية قصيرة (1992)
- الحواجز السوداء (1994)

*) أعد هذا الملف القاصة منى الشافعي.

- مختارات قصصية (1996)

● لها روايات:

- المرأة والقطة (1985)
- سمية تخرج من البحر (1986)
- العصعص (2002)

● مؤلفات أخرى:

- بلا قيود.. دعوني أتكلم (1999).
- المحاكمة.. مقطع من سيرة الواقع (2000).
- يوميات الصبر والمر.. مقطع من سيرة الواقع (2003).

● مؤلفات حول الكاتبة:

- ليلى العثمان: رحلة في أعمالها غير الكاملة
عبداللطيف الأرناؤوط (1996).
- التراث والمعاصرة في إبداع ليلى العثمان
بربارة بيكولسكا/ ترجمة هاتف الجنابي (1997).
- في ضيافة الرقابة - من خلال التجربة الإبداعية لـ: ليلى العثمان
د. زهور لكرام (2001).

● ترجم لها مجموعات قصصية إلى الروسية والألمانية واليوغسلافية والبولندية.

● ترجم لها قصص متفرقة إلى الإنجليزية والتركية والكردية.

شـهادات

(1)

ليـلى العـثـمان، لا تـصالـح الواقـع، لا تراه...، لا تتعبده صنماً، لا تنوء تحت وطأته، لا تهرب منه إلى الأمام، بل تواجهه، ترفضه، تقاومه، تستأنف ضده، وتومئ إلى واقع آخر أحلى وأبهى. ومن هنا تملك قصتها الإضافة المستقبلية، تملك بعدها الثالث وتتجنب مطلب التوفيقية والنقدية النائحة.

أؤكد بغير تحفظ أن ليلى العثمان من الذين يقدون الضلع ليصنعوا قصة دون أن تدع لنا نحن القراء أن نرى آثار الدماء على صدرها أو أطراف أناملها. فهي تخفي بمهارة المبدع كل الغضون التي تخلفها المعاناة على جبينها وتطل علينا بوجه ألق حتى لنحسب أن الأشياء قد انقادت لها بيسر وأنها تكتب بالبساطة التي تتكلم بها.

حنا مينه

شـهادات
(2)

ليلى العثمان.. الإنسان والمبدع

ليلى العثمان، طاقة وكفاءة وقدرة وحضور ومحبة. لها في كل لقاء حضور مستمر محبب، لها في كل حوار صدق وصراحة تظهران معدن هذه المبدعة ونقاءها، بحيث أصبحت من خلال حواراتها المرئية والمسموعة والمكتوبة، وأفكارها المطروحة في كل مكان كالكتاب المفتوح تقلب صفحاته القيمة فتستزيد وضوحاً وتمتلئ فائدة. هي دائماً تتحدث بحرية شجاعة، وانطلاقة تلقائية مقبولة، ضمن مفاهيمها وقناعاتها، إنها تفتح قلبها كالطفل البريء، بعفوية وأمانة ومصداقية تأخذك إلى عالميها الخاص والعام دون تحفظ ومن غير أسرار... تشعرك بأنها نوع نادر من النساء!

استطاعت ليلى، كما يبدو لي، بإصرارها وعنادها مع نفسها.. وببذل كثير من العطاء وبتضحيات حياتية صغيرة وكبيرة، أقول استطاعت أن تبرمج حياتها لخدمة إبداعها وتطويره وتكثيفه وتعميقه وتمييزه وبالتالي أوصلها إلى النجاح الظاهر وإلى الشهرة الواسعة.. والأهم من هذا وذاك أوصلها إلى قلوب الناس ومحبيها ومعجبيها قبل عقولهم، فقد كان هدفها الأول كسب محبة هؤلاء الناس ضمن مفاهيمها ومبادئها الخاصة التي رسمتها لحياتها الإبداعية والإنسانية معاً فكان لهذه المرأة الجادة الطموحة ما أرادت وما رغبت، تساعدها موهبتها المتفردة، تغذيها صراحتها الجميلة وتزاملها جرأتها الواثقة الشجاعة.. متحلية بكثير من التواضع وطيب الخلق والمعشر.. وابتسامة رقيقة تزين دربها.

ليلى العثمان وعلى مدى ربع قرن من الكفاح، استطاعت أن تبني من نفسها شخصية إيجابية فاعلة، مؤثرة، وواثقة من كل خطواتها. لم تكن حالمة فقط بل كانت مقتنعة من الداخل بأنها موهوبة وقادرة، كما كانت على يقين بأنها ستنجح، لذلك وهبت نفسها للقراءة والاطلاع، وغذّت عقلها وقلبها بالانفتاح على ثقافات

المجتمعات الكونية الأخرى مما ساعدها على الإبداع والابتكار والتجريب والتجديد والأهم الاستمرار.

عندما تقرأ ليلى العثمان وتغوص في عوالمها القصصية والروائية، تشعر بأن هناك ما يشدك إلى أبطالها وشخوصها، وبالتالي تنجذب إليها كإنسانة، لحجم الصدق الذي تتميز به في طرحها لمضامين قصصها وأفكار رواياتها، فتشعر أنك ليس فقط تقرأها ولكنك تراها.

تتحلى ليلى العثمان بالعطاء المستمر الذي يؤدي بدوره إلى الاهتمام بالآخر ونبذ مركزية الأنا، والتعلق بالأصدقاء والزملاء الطيبين، دائماً تمنح من حولها عصارة تجربتها الإبداعية والإنسانية وكل ما تختزنه من معلومات ثرية وجديدة يصاحبها النصح والتوجيه وكل أنواع المساعدة.

وأنا أرقب مسيرتها الإبداعية منذ بدايتها تفاءلت من تحديها وإصرارها واستمرارها وقوة إرادتها، في الوقت الذي كانت المرأة فيه مختفية وراء صوت الرجل الإبداعي والذي كان بدوره يحتل ساحة الإبداع بكل أمان

وخاصة في الدول الخليجية، وخلال فترة بسيطة من العطاء بزغ نجمها ليحتل ركناً جميلاً في سماء الإبداع الخليجي جنباً إلى جنب مع أخيها الرجل.

بعد أن تشبعت بشجاعة هذه المرأة وجدتني في يوم مضى أندفع بقوة لخوض تجربة الإبداع التي لازمتني منذ طفولتي، مستندة على جرأة ليلى العثمان ومتكئة على إرادتي، فخورة بنجاح هذه المرأة وريادتها لهذا الفن الإبداعي الجميل الرائع.. وبصورة غير مباشرة كان يشجعني وجودها قربي في الساحة الإبداعية ويحثني نجاحها الواضح المستمر على مواصلة الكتابة، وأعتقد أنني لن أبالغ إذا اتخذت هذه المرأة الناجحة والمبدعة الرائعة أنموذجاً أقتدي به ومثالاً أسير على دربه خلال مسيرتي الإبداعية ودروبها الشائكة الصعبة.

منى الشافعي

(3)

ليلى العثمان:
جدلية الحب والحرية.. وأشياء أخرى

ابتداءً من «امرأة في إناء» وانتهاءً بـ «بلا قيود»، ومن خلال رحلة أربعة عشر مؤلفاً، وحوالي ربع قرن من عمر زمنها الكتابي، تحاول ليلى العثمان أن تثبت أن الكتابة ليست مسألة إثبات للذات فقط وإنما هي في شكلها الإبداعي قضية حياة ووجود. ومن خلال خوضها لهذا المعترك بكل ذلك الزخم واللهاث والعصب المتوفز والنحت في صلابة الحجر أو رخاوة الطين، استطاعت ليلى العثمان أن ترسم ملامح مميزة لفنها، وتترك بصمة ذات دلالة تاريخية ومرحلية في عمر الفن القصصي في الكويت.

ولعله من حسن حظ الفن القصصي في الكويت أن تكون ليلى العثمان من مواليد عقد الأربعينات، إذ استطاعت هي وقصاصو جيلها مثل سليمان الشطي وسليمان الخليفي وإسماعيل فهد إسماعيل أن يمثلوا مرحلة النضج والتأسيس في القصة الكويتية بعد تلك المحاولات الابتدائية المستعصية التي مثلها الجيل السابق عليهم. وقد كان عقد السبعينات بما يمثل من استقرار اجتماعي وازدهار وانفتاح بمثابة السلة التي التقطت جنى هذا الجيل المؤسِّس وثماره، وقدمته لذةً للآكلين.

وحسن الحظ يبرز مرة أخرى في كون ليلى العثمان تنتمي إلى زمن النقلة الحضارية والاجتماعية التي شهدتها الكويت، نقلة من زمن المدينة البسيطة المنكفئة على الكفاف والفطرة ورزق البحر وقسوة اليابسة إلى زمن المدينة النفطية الضاجة بالأسمنت والتحولات المادية ولهاث العيش. وكون ليلى العثمان شاهدة لهذه التغيرات ومعاينة للماضي في طفولتها وصباها، ومعايشة للحاضر في سنوات نضجها، يعد هذا أمراً مهماً حين الحديث عن أهم سمة من سمات فنها القصصي ونعني بها سمة الجدلية المستمرة لديها بين الماضي والحاضر. وما كان

المضي في قصص ليلى العثمان تذكراً رومانسياً وحنيناً غامضاً لمرابع وأزمنة غابرة فقط، بقدر ما كان رؤية مستشرقة لنواقصه وأوجاعه ومظالمه، رؤية تدين فيها الكاتبة ذلك الماضي في بعض وجوهه الشوهاء، وتحاكم قيمه وأدبياته الضارة وتلمس فيه مواضع الخلل والنقص، وهي خلال هذه المعاينة الموضوعية لا تستطيع أن تتخلى عن حنوّها وحدبها على هذا الماضي وشخوصه ومكاناته وأجوائه، متخذة من هذا الخليط الموّار معْبراً وجسراً نحو حاضر معيش يمثل واقعاً يضج بتحديات وإشكالات أخرى.

ولعل أهم إشكالات الحاضر تتمحور في نظر ليلى العثمان حول أهمية تأكيد قيم الحب والأمن والحرية في مجتمع متلاطم بتوجهات متعاكسة ورؤى متلاطمة ومواقف فكرية يستعدي أحدها الآخر بدلاً من أن يسايره ويتواءم معه. ومن هنا يزداد إكبار الكاتبة لقيمة «الحب» وقيمة «الحرية» اللتين تشكلان دعامتين مهمتين في حياتها وفنها، وطالما تحدثت عنهما بكثير من الجنون والشغف والاندفاع.

أما «الحب» فيظهر سافراً في ذلك التوهج الدائم

المتواصل مع الحياة، ويظهر في الصدق الذاتي والبوح الحميم المبثوثان في مؤلفات ليلى العثمان ومقالاتها الصحفية. والمتأمل لهذه المسألة يدرك أن مفهوم الحب لم يكن في يقينها مجرد إضافة وجدانية في حياة امرأة، بقدر ما هو دعامة أساسية للحياة الحقة المتفتحة. لذلك فنواقص الحياة وبؤسها ومظالمها وقسوتها لا يمكن تجاوزها إلا بذلك الرمز: «الحب».

ورغم إيمانها بالحب وقيمته الجوهرية إلا أنها لم تدرك ما قد يصيبه من سوء تقدير، لذلك ظهرت في أقاصيصها تلك الإدانات الواضحة للحب المشوَّه، أو الانتهازي، أو المستغِل أو المنحرف، وما قد يصيب أبطاله من خسران وضلال.

وكما رأت ليلى العثمان في «الحب» المخلِّص الأمثل لوجوه الغربة والقسوة والبؤس في الحياة، فإنها أيضاً ترى في «الإبداع» معْبراً مثالياً نحو «الحرية»، الحرية التي عشقتها ودفعت ثمنها مزيداً من التحدي والإصرار والمشاكسة. فهي ترى أن الحرية والإبداع متلازمتان لا يمكن أن ينفصلا: «الحرية كضرورة إنسانية حياتية»، و«الإبداع» كحالة من حالات الإعلاء بالمفهوم

النفسي، ومظهر من مظاهر نمو الذات واكتشافها وتألقها. وقد يتجاوز المبدع بخلقه الفني إحباطاته ونواقصه وانهزاماته وغيرها من الظروف المعاكسة التي تزعزع الثقة وسلب الشعور بالأمن والثبات. في نماذج من قصص ليلى العثمان طرح جميل لظاهرة المرأة المبدعة التي تحاول أن تتخذ من الإبداع سبيلاً للخلاص مما يحيط بها من قهر أو ظلم أو استلاب. ففي «مملكة الأشواك»[1] تعاني المبدعة من المطاردة واستطالة أظافر الحقد والغيظ. وتعبر عن ذلك بتصويرها للصراع المرير بينها وبين ساكني «مملكة الأشواك» الغارقين في ظلام أحقادهم والمتآمرين على اغتيالها واغتيال أمثالها من المبدعين. وقد استخدمت الكاتبة للتعبير عن ذلك صورة الجريمة والغدر والذبح وهيمنة المجرم على الضحية والنيل منها. ذات المطاردة الفجة للمبدعة تتأكد مرة أخرى في قصة «التهمة»[2]. فالبطلة في هذه القصة ملاحَقة من قِبَل من يمثلون المجتمع أو السلطة. ليس لأنها فقط تمارس بعض حرياتها غير المرغوب بها، وإنما أيضاً لأنها تمارس الكتابة

1) من مجموعة: في الليل تأتي العيون.

2) من مجموعة: حالة حب مجنونة.

الفاعلة المؤثرة في الآخرين. وكما هُددت بطلة «مملكة الأشواك» بالذبح، هُددت بطلة «التهمة» بقطع اليدين! وفي كلا الفعلين إيحاء غني بالظلم الفادح والجبروت والتسلط.

من هنا تبرز إشكالية التصادم، ليس بين ماهية الإبداع ومفهوم الأنوثة الشديد الارتباط بالتكوين النفسي والجسدي للمرأة فقط، وإنما بشكل أوضح بين مفهوم الإبداع المعبِّر عن حريته، وبين وسط اجتماعي بدأت تحكمه مظاهر تزمّت وانغلاق وأحادية في الرؤية والاعتقاد والموقف. من هنا قد يُضار المبدع عامة وقد تُضار المرأة المبدعة على وجه الخصوص، نظراً لما تكرَّس في ضمير مجتمع يحمل تلك السمة، من مفاهيم وموروثات سلبية حول ماهية المرأة ومفهوم الأنوثة، وحدود الدور الذي تلعبه في الحياة. لذلك يبدو الصراع - في أدب ليلى العثمان - أزلياً ومستمراً بين تفتحها الأروع على المجاهرة والمكاشفة والتحدث في الهواء الطلق من جهة، وبين تلك الجدران والأسوار والتابلوهات التي تحاول أن تعلِّب الإبداع وتدجِّنه وتضع جواز مروره بأيدي سدنة عتاة لا يرون أبعد من معتقداتهم وعُصيِّهم.

يبدو أن ليلى العثمان اختارت الطريق الصعب في تعاملها مع الإبداع كقضية حياة ووجود ، ولكن الطريق الأصعب الذي لا نراه مستعصياً على كاتبة في مثل موهبتها وتفانيها ، والذي نريد لها أن تراوده وتشاكسه هو الخروج فنياً من دائرة الاعتيادية ونمطية الطرح، والتجرؤ أكثر على التجريب في الشكل الفني، والمقاربة الموضوعاتية، والتوظيف لأدوات فنية مبتكرة. فحياة المبدع وبقاؤه يتأكدان في نموّه المستمر واتساعه وتجدده، تماماً كما يتأكدان في غزارة إنتاجه وتواصله مع مستجدات الفن والحياة. وهذا أمر يسير على كاتبة تدعم موهبتها بالاطلاع المستمر، والحركة الدائبة، والتواصل مع المحافل الثقافية والأدبية، والإطلالات الجميلة من نوافذ الصحافة والتلفزة والإعلام، والحضور البهي في المنتديات وحلقات الأصدقاء وتجمعات الأحبة. هذه الحياة المتدفقة بالعنفوان والعمل حريَّة بأن تلد لنا في كل يوم برعماً وفي كل ساعة زهرة نلمُّها بفرح من حدائق ليلى العثمان وحقولها الفسيحة.

د. نجمة إدريس

(4)

ليلى العثمان
شهرزاد تتكلم بلا قيود

دأبت الاتجاهات النقدية الحديثة على عزل النص عن صاحبه، ثم عزله عن السياق الاجتماعي/ التاريخي الذي أُنتج فيه، بدعوى أن علاقة النص الأدبي بصاحبه من اختصاص علماء النفس، وعلاقته بالمجتمع من اختصاص علماء الاجتماع وليس النقاد. وبالتالي ينبغي دراسته بوصفه كائناً مستقلاً بنفسه، أي (شيفرة) أو نظاماً من الرموز والدلالات التي يفكها المتلقي عبر فعالية القراءة.

وإن كنا نتفق مع هذه الاتجاهات في عدم الوقوف عند علاقة النص بمبدعه أو علاقته بالمجتمع فحسب،

فإننا نختلف معها في الإهمال الكلي لهذين الجانبين الهامين في معرفة العمل الأدبي وتأويل دلالاته. إذ يبقى كل نص نتاج عقل ومخيلة وتجربة خاصة بمبدعه، وإلا لزالت التخوم بين مبدع وآخر. وكم من المواقف والرسائل والحيثيات المتعلقة بحياة الكاتب قد أسهمت في سبر أعماله وتحديد مقاصده.

من خلال هذا الفهم لخصوصية العلاقة بين المبدع ونصه والمدى الذي يعكس فيه النص رؤى وتجارب ومخيلة مبدعه نرى أن قصص وروايات وحتى مقالات وخواطر ليلى العثمان وثيقة الصلة بشخصيتها، وبيئتها، وزمنها. بل إن حياة هذه الكاتبة - من خلال الشهادات التي أدلت بها حول تجربتها - كثيراً ما تمنح القارئ مفاتيح الدخول إلى عالمها الفني، بالقدر الذي تكشف فيه تلك الأعمال عن نوازعها وهواجسها وتجاربها في الحياة. وهنا تتمظهر جدلية العلاقة بين النص ومبدعه في أجلى صورها.

أربع وعشرون سنة مرت على صدور المجموعة الأولى للكاتبة: «امرأة في إناء» واظبت خلالها على الكتابة بإصرار تُغبط عليه حتى صدرت لها تسع مجموعات

أخرى وروايـتـان ومـجـموعـة مـقـالات تحـت عـنـوان: «بـلا قيـود... دعوني أتكلم»، وهي في هذه الأعمال لا تكرر نـفسها ولا تجـتر أساليبها وإنما تمتح من مخزون حياتها الغنـيـة بصور القسوة والحنين، الشظف والرفاه، الحب والكراهية، الحقد والتسامح، تلك الصور الحية التي لا تُقدَّم في تناقضها عبر أفكار مجردة أو هذيان لغوي، بل عبر نماذج إنسانية من لحم ودم مرتبطة بواقعها ومرتهنة لشروطه القاسية التي تحكمها، مستخدمة في ذلك شتى تقنيات القص التي تكشف عن موهبة أصيلة بدءاً من اختيار العنوان مروراً بالاستهلال الشائق وانتهاء بالقفلة التي غالباً ما تنفتح على إمكانات متعددة للتأويل لدى القارئ، مما يكسب تلك النماذج سمة الرسوخ في عقل المتلقي وقلبه.

في عـالم لـيـلى العـثمان القصصي يطغى صدق التجربة على فنية التعبير، هذا الصدق الذي يلغي الحدود أحياناً بين (أنا الكاتب) و(أنا الراوي) فتختلط صورة الكاتبة بصور أبطالها ويعلو صوتها الداخلي على أصواتهم المتفردة مما يحرم المتلقي سماع كلٍّ منهم على حدة، لكنه يظل مع ذلك متعاطفاً مع هؤلاء الأبطال الذين

يـواجـهـون فـي الـغـالـب اخـتـيـارات مـرة، ومـصـائـر لا يرتضونها، من خلال حبكة قصصية يطغى عليها الشكل الكلاسيكي المعهود: (بداية - عقدة - نهاية) في التجارب الأولى، متجاوزة إياها إلى أشكال أكثر تحرراً من هذه الترسيمة في أعمالها المتأخرة دون أن تتورط في تحطيم وبعثرة الكيان القصصي برمته بحجة اللحاق بركب الحداثة وما بعدها.

انشغلت ليلى العثمان بالمرأة، فصوّرتها طفلة، ومراهقة، وشابة، وأماً، وجدة، وعاشقة، ولئيمة، ومضحية، ومقهورة في ظل مجتمع ذكوري مستبد لا يعترف بأنوثتها، ولا يسمح لها بالتعبير عن كيانها المستلب.. وهي بذلك لا تنظر إلى الرجل نظرة عدائية، بل كثيراً ما تُبرز الجوانب الخيِّرة في شخصيته، وإن كانت هذه الجوانب تبدو استثناء عن القاعدة التي تحكم سلوكه معها وتحدد فهمه لها. وتذهب ليلى إلى أبعد من ذلك عندما ترى أن كلاً من الرجل والمرأة يعاني قهر المجتمع وتقاليده الصارمة التي لا تسمح للحب بأن يشرع نوافذه ويستنشق نسائم الحرية.

لم تكتسب ليلى شهرتها الواسعة وأهميتها كونها من الجيل المؤسس لفن القصة في الخليج فحسب، بل اكتسبتها من الجهد والعرق والمثابرة، من الجرأة في تناول موضوعاتها، هذه الجرأة التي منحت أبطالها الحياة، لأنها تحدثت عنهم بصدق متناه، دون مداورة أو مواربة، وبقدر ما كانت هذه الجرأة الفنية والموضوعاتية عاملاً من عوامل انتشار أدبها وتخطيه للحدود، فقد جرَّت عليها كثيراً من العداوات المتشنجة التي لم تستسلم لها بل مضت في مواجهة هذه التحديات الجديدة بروح صلبة ومفعمة بالإيمان بقضيتها ككاتبة وامرأة.

إنها لا تريد لشهرزاد أن تصمت، ولكنها لا تريد لها أن تتكلم أيضاً تحت الأوامر، تريدها أن تستمر في التحدي وتقول ما تريده بلا قيود. ولعلها قادرة على ذلك حتى النهاية.

نذير جعفر

(5)

ليلى العثمان..
مسكونة بالحرف والكلمة!!

بعد ما يربو على عشر مجموعات قصصية، وروايتين، ورحلة طويلة ما بين الحرف والكلمة والفعل والحضور والنشاط الثقافي، ما عاد يمكن اختصار تجربة الأديبة ليلى العثمان القصصية والروائية، في كلمة من ورقتين أو ثلاث!

ليلى العثمان، اسم لامع احتل مساحته الأدبية والثقافية الخاصة، بوصفه أحد الوجوه النسائية الكويتية المبدعة والجادة والمثابرة، إن كان على المستوى المحلي أو العربي أو العالمي.

أرى، أن صوت ليلى العثمان الإبداعي أكثر ما

يكون حضوراً ودفئاً وحميمية حين تكتب عن حياة المجتمع الكويتي القديم، وربما، كانت كتابات ليلى العثمان التي تتناول الجانب الخفي والسري لحياة مجتمع كويت ما قبل النفط، وتحديداً جانب العلاقات الأسرية، وعلاقة المرأة بالرجل، ربما، كانت هذه الكتابات هي الأكثر عبقاً وتمثيلاً لمنعطفات وخفايا وحيوات تلك الفترة، ومن بين الأصوات القليلة التي كتبت عن كويت ما قبل النفط.

ما بين المجموعة القصصية الأولى لليلى العثمان، المعنونة بـ (امرأة في إناء)، والصادرة عام 1976، وبين مجموعتها القصصية الأخيرة (يحدث كل ليلة) الصادرة عام 1998، يمتد عمرٌ طويل، ورحلة حرف وحياة شيقة ومثمرة ومضنية! اثنان وعشرون عاماً استغرقتها ليلى العثمان، تحفر لوجودها الإبداعي، وتسعى دونما كلل أو مهادنة لنقش اسمها، وتأكيد حضورها الأدبي والثقافي، ولقد كان لها ما أرادت!

إن الراصد لتجربة ليلى العثمان الأدبية، يرى أنها استطاعت أن تلتم على صوتها القصصي الخاص، وبصمتها بمفردتها المميزة، والتزامها بقضايا الإنسان

الحقيقية، ومعاني الحياة السامية والمتطورة، ذلك الالتزام الذي يشكّل أحد أهم جوانب كتاباتها القصصية والروائية: الحب، والصداقة، والإخلاص، والحرية، والمساواة، والعروبة، والتحرر.

هذه هي قضايا ليلى العثمان الأهم، والأثيرة إلى قلبها، والحاضرة أبداً في حبر كلماتها. وكأن ليلى العثمان رصدت قلبها صوتاً إبداعياً عالياً وجريئاً لقول كلمة تعشقها وتؤمن بها، وتأبى إلا أن تترجمها أدباً حياً وباقياً، وأياً كانت النتيجة!

إن كتابة الأدب القصصي بلغة السهل الممتنع، خط وقناعة اختطفتهما ليلى العثمان لنفسها، منذ إصدارها الأول، ولم تزل تسير عليهما. فأبرز ما يلفت نظر القارئ لأعمال ليلى، هو إصرارها على اختيار مواضيع قصصها القصيرة من نهر حوادث الحياة اليومية البسيطة. ومن ثم قدرتها على تخيّر واصطياد المفردة الأدبية القريبة من القلب، وتطويعها لخدمة النص، وتوصيل المعنى، مع الحرص على الارتقاء بالمضمون الكلي للقصة ليكون دائماً إلى جانب قضايا الإنسان، همومه وأحلامه البيضاء والمشروعة! لذا، حظيت واستحوذت ليلى العثمان، على

جمهور عريض، جمهور متابع، وعلى انتظار دائم لأعمالها الأدبية، خصوصاً، وأن تلك الأعمال تمثل جزءاً منه، تمس روحه وتطلعاتها الأعدل والأحب والأجمل!

ليلى العثمان، لمن يعرفها هي قارئة نهمة، وقلما تذكر أمامها كتاباً أدبياً أو كاتباً، إلا وبادرتك بمعرفتها به، وأنها انتهت من قراءة ذاك الكتاب، أو أنه ينتظر دوره في القراءة. هذا، إلى جانب كون ليلى «على سفرٍ» دائم.. سفرٌ ميّزها وأتاح لها تجربة حياتية زاخرة ومتنوعة، وأكسبها معارف وأصدقاء في كل مكان تحل به: قصاصين، وروائيين، وشعراء، وفنانين تشكيليين، ومثقفين، وإعلاميين.. ومع مرور السنوات، وتكرار السفر، ومد جسور الود والهم مع الأصدقاء، أصبحت ليلى العثمان، صوتاً ثقافياً حاضراً لوطنها، فحيث تحل يكون حضور وحديث كويت الثقافة، وتكون الساحة الأدبية الكويتية برموزها، وأدبائها، ومثقفيها، وهمومها!

ليلى العثمان، وبعد ما يزيد على العقدين من الزمان، أمضتها في القراءة، والكتابة الإبداعية، والعمل الثقافي، أصبحت امرأة مسكونة بالحرف والكلمة، سمكة

لا تطيق، ولا تستطيع العيش بعيداً عن بحرها، عن أدبها، وهمها، وقدرها. فالكتابة، أولاً وأخيراً هي قدر.. قدرٌ صعبٌ ينصبّ فوق رؤوس بعضنا، وليس لنا مع أقدارنا تملص أو اختيار!

ليلى العثمان، وفي طريق مسيرتها الأدبية الطويلة تعرضت لكثير من الصعاب والمصاعب. ودائماً، لم يكن أمامها إلا مواجهتها بإيمان ثابت بعدالة قضيتها، ونبل مقصدها، وأنها ستقطف نصراً عزيزاً في نهاية كل جدل أو خلاف.. الآن، قلوبنا مع الزميلة الأديبة ليلى العثمان، في انتظارها صدور حكم يبرئ ساحتها فيما نسب إليها، بسبب فهم خاطئ لكلمة خطها قلمها!

وإلى أن يحين ذلك، تبقى ليلى العثمان في انتظارها الموجع، وهل بغير نار الوجع تأتي حروفنا!

طالب الرفاعي

الكويت، في 2000/1/10

قصص مختارة
لضيف العدد

ينفصل الوطن.. تنفصل الطريق (*)

للجرس نغمات خاصة كأنها رقصة سجينة تنطلق، ونهاية اليوم الدراسي تعني الحرية لمساجين الفصول الدراسية الساخنة، ويحلو الهرب بعد يوم رطب.. دبق تتلاصق فيه الثياب بالجسد.

في دقائق انفلتت الطالبات من الصفوف كما تنفلت الخيل المنتظرة إشارة السباق. أصوات أقدامهن المتراكضة على الأرض تثير أنغاماً حماسية تختلط مع الأنغام المنبعثة من السيارات المنتظرة. وتنسجم مع اللحن الذي ينبعث من راديو الباص.

تقافزت الطالبات إلى جوفه بعضهن ضاحكات تتناثر خصلات شعورهن على جباههن الرطبة.. وبعضهن يبدو أثر دموع في عيونهن. ذلك يعني أن نتيجة اليوم الدراسي لم تكن مرضية.

*) من مجموعة (فتحية تختار موتها).

أسراب.. أسراب.. تدلف إلى بطنه حتى كاد يمتلئ إلى عُنقه. صارت الخيول المنفلتة سرديناً يتلاصق رغم الرطوبة، وانبعثت رائحة العرق، ورائحة الجوارب، وأحذية الألعاب المهترئة.

- **أُف.**

زفر السائق. سحب منديله وغطى به أنفه ينتظر اكتمال العدد. بينما صراخ الطالبات وأحاديثهن تضيع مع الأنغام التي كانت مسموعة من شبابيك الباص قبل امتلائه.

صاح السائق منادياً بعض الطالبات المتجمعات حول بائع «الآيس كريم» فهرعْن إلى الباص الذي ما كاد يبتلع أجسادهن حتى **أُ**غلق بابه.. وحرك السائق المفتاح. وقبل أن يتحرك.. امتطت سيارة فارهة أمامه. وسدت عليه الطريق.

ضغط على البوق.. مرة.. وثانية.. لم يستجب سائق السيارة الفارهة.. ضغط مرة ثانية.. كأنه يحذّر من غضبه لكن السائق الآخر لم يتزحزح.

***

الحر شديد.. الباص يكاد يستفرغ، الرطوبة.. أنفاس الفتيات.. صراخ بعضهن يراجعن مادة الجغرافيا التي كان يكرهها منذ كان تلميذاً. التفت إليهن وقد بدأ يفقد أعصابه:

- اسكتن يا بنات.. ارحمنني.

تضاحكت الطالبات، تغامزن عليه.. وعدن إلى ثرثرتهن ولكن بصوت أقل حدة.

يده على البوق ثانية.. ثلاث ضغطات.. طوط.. طوط طوط.. لكن السائق كاللوح لا يتحرك.. ومن نافذة السيارة الخلفية أطل وجه امرأة هندية ملأ الشيب مفرقها ومن عينيها أطلت نظرة ضجر.

مادام وجه الهندية قد أطل فلابد أن السائق قد تنبّه إليه.. فتمادى في الضغط على البوق.. أمله يخيب.. يزفر.. يضغط.. يمسح العرق.. يضغط.. تمد الهندية ذراعاً ذابلاً زمت أطراف أصابعها وحركت يدها بإشارة تعني.. مهلاً.. مهلاً.

لكنه لم يتمهل.. ألقى بكل ثقل كفه على البوق.. ضغطت البنات على آذانهن.. بينما تطايرت أخريات كُنَّ

قد التصقن بالباص تحادثن من في داخله.. وتتفقن على بعض الأشياء للغد.

* * *

أخيراً.. ترجّل سائق السيارة الفارهة.. كان يبدو وكأنه فقد أعصابه.. دنا من الباص.. خاطب السائق من نافذته المفتوحة:

- يا حمار! لماذا تنهق؟؟

تضاحكت الطالبات.. كأنهن يشمتْن بالسائق الذي يُخرسهُن دائماً.. ولكي يداري خزيه من الطالبات تكلم بهدوء:

- سامحك الله.. أريدك أن تفسح لي الطريق.. لقد عطّلتنا.

لكن السائق الآخر هزّ يده في الهواء وزعق:

- تعطّل. ما الذي يحدث لو تعطلت؟ هل تحمل ابن وزير أم ابن رئيس؟؟

هدّأه السائق:

- يا أخي.. أرجوك.. الدنيا حر.. والبنات لهن أهالي ينتظرون.

لكن الآخر رفض مهدداً:

- لن أمشي.. ووالله لو نفخت بوق باصك هذا ثانية فسأجعل سيدي يأتي غداً.. ليحطّم رأسك.. تنهّد سائق الباص مستسلماً.. أطفأ المحرك.. مسح بمنديله المتسخ عرق وجهه والتفت إلى الطالبات:

- هيا اسكتن.. ستبقين في هذا الفرن حتى يتكرم هذا السائق المغرور.. ويتحرك.

- لاح يأس على وجوه الطالبات.. تهامسن:

- هذا سائق غنيمة.

تناهى للسائق همس الطالبات.. التفت إليهن:

- غنيمة من؟ ابنة من؟؟

لم ترد عليه واحدة.. انكمشن صامتات.. بينما تعرقت ثيابهن حتى بدت وكأنها مغسولة بالماء.

مرّت نصف ساعة قبل أن تُقبل من داخل المدرسة طالبة سمراء.. في الرابعة عشرة من عمرها.. تبدو

أنيقة.. مرتبة.. حذاؤها رغم تعب النهار يبدو نظيفاً.. ترتبط جديلتيها بشرائط بيضاء ناصعة.

- آه.. يبدو أنها بنت أكابر.

قال سائق الباص وهو يلتفت بنصفه إلى الطالبات.

ردت طالبة:

- أبوها تاجر كبير مشهور.

- ومغرور.. وسائقه مغرور.. وطبعاً ابنته مغرورة.

تصايحت بعض الطالبات باحتجاج:

- لا.. غنيمة ممتازة.. متواضعة.. طيبة.. و.. و......

هزّ يده مهدئاً:

- طيب.. طيب.. الله يرزقنا كما رزقها.

تفوه بأمنيته.. ولم يكن يتصور أنها مخزونة في قلوب الطالبات المكدسات.

فوجئ بأصواتهن تردد :

- آمين.....

* * *

الطالبة السمراء تقترب. الهندية ذات الذراع الذاوي تترجّل تحمل حقيبة الطالبة، تفتح لها الطريق. السائق ينزل من السيارة يفتح الباب.

دلفت الفتاة.. استرخت.. نوافذ السيارة مغلقة.. في الداخل مكيف هواء يعمل.

تحركت السيارة.. فتحرك الباص.. مدّ السائق يده أدار جهاز الراديو فجاء صوت المذيع أجش يقرأ نشرة الأخبار.

- أف..

زفر السائق، وأخمد صوت المذيع وهو يزفر:

- أخبار الشوم..

سألته إحدى الطالبات:

- ليش؟ ما بدّك تسمع أخبار الوطن؟؟

- إيه.. خلوها مستورة.

كأن الطالبات عرفن سرّ التنهيدة الطويلة العميقة بدأن يصفقن ويغنين: «هو ذا الصوتُ من الأرض السمراء آت.. من حقلي.. من شمسي.. من آلام شعبي آت» شدّه

الحـنين إلـى الـوطـن.. دمعـت عـيـنـاه.. لاحـظـت إحـدى الطالبات الدمعة الحزينة المنهارة على خدّه:

- لماذا تبكي؟؟

- تذكرت البلد.

- هل تذكرها جيداً..

- بالطبع.. غادرتها حين كان عمري عشر سنوات.

- آه..

تنهدت طالبة وتابعت:

- نحن لا نعرفها.. أهلنا فقط يتحدثون عنها.. فنحبها.

هز رأسه:

- الوطن غال يا بنتي.. الوطن غالٍ

يرتفع صوت الطالبات بنغمة شجيّة:

بـاسم الحـريـة.. راجعـين يـا فـلـسـطـين.. فـلـسـطـين عربية... ....

الصوت يعلو.. الحر يتزايد.. الشمس المحرقة، وتحدّق إشارة المرور الحمراء بوجه السيارات.. أشار سائق الباص إلى الطالبات:

- هس.. اسكتن.. بلاش أغاني.

كانت السيارة الفارهة التي تحمل غنيمة ملاصقة في تلك اللحظة للباص.. تدلّت رؤوس الطالبات إلى السيارة أطل وجه غنيمة من خلف الزجاج.. ابتسمت، أشارت بيدها تحيي.. فتحت النافذة.. تصايحت الطالبات.. كل تريد أن تقول كلمة.. قبل أن ترد غنيمة على كلماتهن كانت الإشارة تبتلع عضبها الأحمر.. ويتبدل إلى أخضر.

* * *

الطريق الممتد واحد.. أخذ سائق الباص يسابق السيارة والطالبات يغنين.. فرحات.. وحين تسبقهن السيارة ترتفع أصواتهن باحتجاج:

- ياه.. أبو راجح الله يخليك اسبقها.. اسبقها.

يتعجب:

- إيه! أسبق كاديلاك؟ هذا باص «كَحيان»[1].

ويختلط رجاؤهن:

- ولو أسبقها..

- بس.. أمامنا إشارة ثانية.

1) كحيان: كلمة فلسطينية بمعنى «قديم ومهترئ».

يقف الباص.. السيارة بجانبه.. تطلب الطالبات وهن يرددن باقي الأغنية الحماسية:

«وجئت طلقة.. وجئت صفعة...

لكل ضمير خائر...

تـركت الـنجـم.. تركـت الآه.. تـركتُ الـنـغـم الحائـر و........».

غنيـمة تفتح نافذتها.. تطوف على وجهها سحابة حزن وتَمَن.. يلتفت سائقها يشير لها أن تغلق النافذة التي تسرّب منها صدى أغنية شعبية وطنية. صوت الطالبات يرتفع يتحدى ارتفاع النافذة الزجاجية. غنيـمة تبتسم لهن.. تشير بحماس.. انسجام هادئ يطل من عينيها.. وألفة.

* * *

عند آخر إشارة يفترق الباص عن السيارة التي دلفت إلى أحد الأحياء السكنية.. ويتحول الباص إلى منطقة «حَولّي»[1] حيث ستبدأ رحلة توزيع الخيول إلى اصطبلاتها.

1) حولّي: منطقة أغلب سكانها من الإخوة الفلسطينيين.

الحياة عامرة.. المحلات التجارية.. البقاليات المتناثرة.. المارة تكتظ بهم الأرصفة.. رجال.. نساء طالبات.. وطلبة.. يهرولون هرباً من الحر إلى البيوت، المطاعم ومحلات شيّ الدجاج تفوح رائحتها الذكية فتثير إحساس الجوع في نفوس الطالبات.. يتلمظن. تتمنى إحداهن:

- ليت أمي تكون طابخة دجاجاً..

قالت ثانية:

- اليوم سنتغدى «مجدّرة»[1].

شهقت أخرى:

- ياه.. أنا أحبها..

بينما تأففت أخرى:

- يوه.. أنا أكره هذه الأكلة.

لم توافقها كثيرات.. من الطالبات.. حتى سائق الباص:

1) مجدّرة: أكلة فلسطينية – مثل الكشري.

- هذه أكلة غنيّة.. إنها «مسامير الركب» ضحكت الطالبة"

- لا أريد مسامير لركبي، أنا قوية.. ألعب الجمباز أحب الدّسم.. دجاج.. لحم.. بازيلا.. بطاطا..

- إيه.. صحتين على قلبك.

قالها السائق وتوقف عند أول المنعطفات وفتح باب الباص:

- هيا.. اللي عليهن الدور...

تدافعت خمس طالبات.. وما أن أغلق الباب حتى أخذت من في الباص يشرن بأيدهين مودّعات لصويحباتهن متمنيات أن يأتي دورهن بسرعة.

خفّ حمل الباص.. أخذ الهواء الرطب السجين حريته.. لطّف الجو قليلاً.. انخفض صوت الطالبات.. يتحادثن أحاديث مختلفة ويقلّدن بعض مدرساتهن أو يداعبن بعضهن.. ونسين في غمرة مرحهن التأخير الذي حدث حين أصرّ سائق غنيمة على الوقوف.

* * *

سيارة غنيمة تبدأ رحلتها في الحي السكني.. الهدوء يخيم على الشوارع.. لا محلات تجارية! ولا بقاليات: لا رائحة دجاج ولا زعتر تفوح.. النظافة واضحة والحشائش المزروعة تلفظ أنفاسها الخضراء في هذا الحر الشديد.. أغصان الشجر تلبدت أوراقها.. فلا نسمة تهزّها.. ولا حركة بشر.. ولا أغنيات تنبعث من شبابيك باص!

أحست بالضجر.. لايزال سمعها يحمل رنة الأغنية الحماسية.. قالت في نفسها:

- «غداً.. سأطلب منهن كلمات الأغنية».

فرحت لهذا القرار وهي تتذكر وجوه الطالبات، الفرح المنتشر على وجوههن رغم تكدسهن في باص غير مكيّف.. وتنهدت.

* * *

في البيت.. فاحت رائحة الطعام الشهي.. رغم هذا قالت لأمها:

- لا أحس برغبة في الأكل.

وانهال دلال الأم.. أخذت تعدد الأصناف المطبوخة

والمقبّلات.. لكن الفتاة ظلت صامتة.. تجول عيناها في أنحاء المكان.. كل شيء نظيف جميل فخم.. رائحة العز تفوح كما تفوح رائحة الطعام. وصوت أمها يأتي كأنه من البعيد.. في أذنيها. لاتزال تتلاعب موسيقى الأغنية التي لا تحفظ كلماتها يتماوج معها صوت ضحكات الطالبات وفرحهن الصادر من القلب. تطلعت في وجه أمها وإذا سحابة خوف تنتشر عليه:

- غنيمة.. ما بالك؟؟ هل أنت مريضة؟؟

- لا يا أمي.

- إذاً.. ما بالك صامتة! ولا تريدين أن تأكلي؟؟

- أنا أحلم.. أحلم يا أمي..

واستلقت على المقعد الوثير وسؤال أمها ينطلق فرحاً:

- تحلمين! بماذا؟؟ قولي كل أحلامك تتحقق حالاً.

تلاعب حزن في وجه الفتاة.. أكدت لأمها:

- إلا هذا الحلم.

وحثتها أمها:

- كل الأحلام أحققها لك..

اعتدلت:

- إذن.. أريد أن أركب الباص مثل بنات حَوَلّي.

و.....

انكمش وجه الأم.

* * *

تفرقت الخيول(*)

وضع منصور الصينية أمام سيده، وما أن رفع قامته حتى بادره السيد:

- تغديت يا منصور؟

- نعم يا سيدي.

- ماذا أكلت؟

- خيرك كثير يا سيدي.

مد السيد يده آمراً منصوراً بلطف:

- اجلس يا منصور.

تردد..

- عفواً يا سيدي. لقد تغديت وشبعت.

تشتد لهجة السيد:

*) من مجموعة (الرحيل).

- اجلس، كل لحماً.. ومرقاً.. وخضاراً.

جلس منصور. سبقت يده يد السيد إلى المغرفة. غرف مرقاً صبّه فوق الرز أمام سيده ثم ابتسم:

- تفضل يا سيدي، ألف عافية.

لكن يد السيد امتدت إلي المغرفة، ملأها، صبّها على الرز أمام منصور:

- تفضل يا منصور، كل معي.. أحياناً أكره الوحدة وأبحث عن إنسان يشاركني حتى لقمتي.

بصدق ينبع من القلب يخرج دعاء منصور:

- أطال الله عمرك سيدي.

عجن السيد لقمته. قبل أن يرفعها إلى فمه نظر إلى منصور كمن تذكر شيئاً:

- هل خبّبت الخيل يا منصور؟

- رفضت التحرك يا سيدي. لاتزال غاضبة.

هزّ رأسه آسفاً ثم سأل:

- «وعين الشمس»؟

- أكثرها غضباً يا سيدي.

بلع السيد اللقمة بعد أن عجنها بريقه مراراً:

- «عين الشمس» يقلقني يا منصور.

- وأنا كذلك يا سيدي.. ولكن...!

ترتخي يد السيد:

- ولكن ماذا يا منصور؟ قل ما عندك. لا تتردد.

تحرك منصور في جلسته وأوقف أصابعه التي تهمز القمة:

- أرى أن «عين الشمس» معذور يا سيدي.

تنهد السيد، وقال بشيء من اليأس:

- معذور، معذور، وأنا.. ألست معذوراً يا منصور؟

فتح منصور فمه ليقول كلمة. لكنها تباطأت فابتلعها مع اللقمة بينما سمع همس سيده:

- لقد أثار الخيول بيع القسم الشرقي من الاسطبل. يا عجباً!

نظر إلى منصور متمنياً لو حصل على تأييد منه:

- في النهاية يا منصور الخيل حيوان، ولا يجب أن

يفرض علينا ما يريد. رغم حبي وشغفي به. ولكن... لابد أن ينتهي هذا الغضب.

منصور لا يتكلم.

ترتفع إليه عين السيد:

- «ها» يا منصور.. لماذا لا تجيب؟

- يا سيدي أنت أدرى.. إن للخيول مشاعر مرهفة تفوق أحياناً مشاعر الإنسان.

تختلج بصوته بحة ألم ويكمل:

- كنت يا سيدي تحت إمرة جدّك العظيم مجرد حيوان لكنني بالطبع كنت مثله. إنسان أكره الظلم وأتألم وأحلم بحريتي و...

نظر إليه السيد نظرة فيها شيء من العتب القاسي فأطرق منصور برأسه خجلاً:

- عفوك سيدي، لكنك بهذه البيعة قد قلبت نظام الخيول. فبعد أن كان لكل فرس مربطها.. صار كل اثنين أو أكثر من مربط واحد. وأنت تعرف يا سيدي أن الخيول تكره المشاركة.

- ماذا أفعل يا منصور؟

سال الحزن مع تساؤله وأكمل:

- تعرف أنه لولا حاجتي للبيع لما بعت.

- يا سيدي لو بعت حصاناً أو حصانين، وأبقيت على الاسطبل.

انتظر أن يرى تعبير الرضا على وجه سيده، لكن انتظاره لم يولد شيئاً فأكمل:

- «مرجانة» مثلاً كبرت.. و«أسد الليل» بليد، لو بعتهما وسددت حاجتك.. أو.

لم يكمل، هز رأسه صمت بينما كانت أصابعه تلملم حباب الأرز المتناثرة أمامه.. عينا السيد معلقتان بوجهه تنتظران أن يكمل. وحين لم يفعل حثه السيد:

- أو ماذا يا منصور؟ تكلم.

بتردد واضح وحزن عميق أجاب:

- ليتك بعتني أنا يا سيدي.

جحظت عينا السيد، مزيج من الدهشة والغضب:

- ما هذا الهذر يا منصور؟ جننت؟! أبيعك؟ ألا تعلم أنك عندي أغلى من الاسطبل ومن الخيول وحتى من «عين الشمس»؟

- سهل أن تعوضني يا سيدي.. ولكن... المكان!

ازدرد اللقمة وتبعها بقليل من الماء ثم نظر إلى منصور وأمسك يده فحضنها بين كفيه وربت عليها برفق:

- أنت عزيز علي يا منصور. لا تأسف على شيء. لن يفيد الندم.

بكى منصور، حنان السيد، حزنه، حسرته، صدقه، وهو يقول:

- إنني حزين يا سيدي من أجل «عين الشمس».

- مزيداً من السكر يا منصور. أعطه مزيداً منه.

- لقد رفضه.. تصور يا سيدي.. حتى السكر!

- عجيب أمر هذا الحصان! سأراه بنفسي بعد قليل.

***

ضوء الشمس ينعكس على الجسد المخملي الأسود.

كانت شمس أخرى تسطع على هذا الناعم، تتوهج وتزرع الألوان بأشكالها وأنواعها. يد السيد تداعب ظهر الجواد.. تنحدر على الشلال الناعم:

- ما أروع ذيلك يا «عين الشمس»!

هز الحصان رأسه المطأطئ.

- ما أروع لونك الليلي! أكاد أرى صورتي في لمعانه.

هز الحصان رأسه ثانية، شخر وظل الرأس مطأطئاً.

- غاضب أنت مني يا «عين الشمس»؟

همس في أذن الحصان ثم نادى:

- منصور.. آتني ببعض حباب السكر.

ظلت يده تمسح على الحصان بحنان وحب كبيرين.

كانت اليد تمر على الأجزاء كلها، حتى إلى العينين الكحيلتين، دمعة منحدرة من عين الحصان.

- تبكي يا «عين الشمس»؟ تبكي أيها الغالي؟

كان منصور قد وصل. امتدت يده بقطع السكر إلى سيده.. تناولها السيد، بينما همْس منصور يصل إليه:

- لقد بعت مكانه.. حشرته مع حصان آخر، انظر! لقد كان سيد نفسه، وسيد المكان، ثم أتى من يشاركه، مسألة يا سيدي لا يستطيع الإحساس بها إلا من سلبت حريته.

هز السيد يده بضيق في وجه منصور:

- اسكت يا منصور، أحياناً تصير مهذاراً لا تحتمل.

- أمرك يا سيدي.

حين التفت السيد بعد دقائق ليقول شيئاً لمنصور فاجأته دموعه تسيل على وجهه الأسود:

- ما الذي يبكيك يا منصور؟

أجهش، وكأنه ينتظر هذه الفرصة، مال على يد السيد يقبلها، يبللها، يرجوها:

- يعني يا سيدي، بعني واسترد النصف الآخر من الاسطبل.

سحب السيد يده غاضباً:

- لابد أنك أصبت بالخبل يا منصور!

- سيدي....

- اسكت، لا تردد هذا.. هيا اتبعني.

***

سار يتبعه منصور كظله بينما «عيون الشمس» لاتزال مغرورقة بالدموع.

بادر السيد خادمه بعد أن ابتعد قليلاً عن الاسطبل.

- أمرك سيدي.

- «الخبب» لازم يا منصور. لا يجب أن نترك الخيل هكذا. أريدك أن تحاول. ابدأ «بعين الشمس» فقد تراه الخيول الأخرى فتنهي هذا الغضب وتخرج.

- سأحاول يا سيدي. لكنني واثق أنه لن يقبل.

التفت إليه السيد:

- لا تفترض فروضك السيئة يا منصور، حاول، وإن رفض فحاول مع الخيول الأخرى.

- لكنك تعلم يا سيدي أن الخيول لا تخرج إلا إذا تقدمتها «عين الشمس» هكذا عودناها.. ألم تُسمّه «إمام الخيول»؟

تبسم السيد:

- بلى يا منصور لكننا مضطرون لكسر هذا النظام. فلنعوّدها أن تخرج بدونه.

وهز يده مؤكداً:

- نعم يجب أن تتعود منذ اليوم.

- أمرك سيدي.

وما أن ابتعد السيد قليلاً حتى همس منصور لنفسه:

- ليتك لا تكون غبياً يا سيدي؛ مع ذلك سأحاول.

صرخ السيد:

- ما الذي يحدث يا منصور؟

جاء منصور لاهثاً يسابق الريح. وقد عفر سحنته التراب وسقط غطاء رأسه. يداه تلوحان للسيد:

- الحقني يا سيدي، الحقني...

حين اقترب كانت عينا السيد تائهتين تراقبان المشهد، الخيول تنطلق مثيرة الغبار، بعضها مشتبك في صراع عنيف.

- ما الذي يحدث يا منصور؟

استمر لهاث منصور وهو يجيب:

- انفلتت الخيول يا سيدي!

أمسك السيد بشعره الأكرت يشدّه:

- كيف؟ كيف أيها الغبي؟

- لقد أردت أن أنفذ كلامك.. ولكن ما أن خرجت الخيول للساحة حتى حدث ما تراه الآن.

- أسرع إليها وهدئ من روعها.

هز منصور ذراعيه بطولهما:

- لا أستطيع ضبطها يا سيدي. بعضها هاجم القسم المباع.

عينا السيد تتابعان ثورة الخيول. بينما صوته المرتجف يتساءل:

- و«عين الشمس»؟

منصور لا يرد..

يصرخ السيد:

- «عين الشمس» يا منصور؟ أخرجه.. أخرجه سريعاً فقد تراه الخيول وتهدأ.

ظل منصور واقفاً لا يتحرك، الغبار ينزرع على رموشه السوداء، أنفه يتصبب، وكذلك عيناه. يثور السيد. يدفعه بقبضته:

- تحرك أيها البليد! أخرج «عين الشمس».

- يا سيدي..

- تحرك!.

أجهش.

- أهذا وقت البكاء أيها العبد؟

وانطلقت آهة منصور، صرخ كالمذبوح:

- «عين الشمس» مات يا سيدي!

خر السيد من وقفته، واستقبلت الأرض جسده المتهالك. صوته ذبيح.. والصدمة تشل اللسان.. يتأتئ:

- ماذا.. ماذا.. تقول.. يا... مـ.. منصور.

يخر العبد على ركبتيه قرب سيده:

- أقول مات «عين الشمس» وهذه ثورة الخيول.

وضع السيد يده على ركبة منصور يحثه:

- قـم يـا مـنـصـور، اسـتـنـجـد بـحـارس الـقـسـم الآخـر مـن الاسطبل.. أسرع.. أسرع يا منصور.

- لقد صرعه «عين الشمس» انفلت عليه يا سيدي..

داسه بحافره.. شق خاصرته..

فغر السيد فاه.. غير مصدّق:

- «عين الشمس»؟

- نعم يا سيدي.

- ذلك الوديع..؟

- لقد انفلت مني كالمجنون يا سيدي، واتجه إلى الناحية الـشرقـيـة. أراد أن يـدخل إلـى الـقـسـم المبـاع.. لحقـه الحارس، حاول أن يمنعه، استعمل سوطه، هاج «عين الشمس».. آه يا سيدي لو كنت قد رأيته لما حسبته إلا ناراً ملـتـهـبـة.. قـضـى عـلـى الحـارس، ثم حاول أن يكسر الباب، مرة.. مرتين، رأسه يدق بالحديد والخيول في الـداخل تـصـهـل، ترتجف، «عـين الـشـمـس» فـقـد السيطرة على نفسه، قتل نفسه أمام باب الاسطبل.

- منصور.. منصور.. منصور...

لـم يسـتـطع السيـد أن يقـول شيـئاً. ظل اسم مـنصـور يتردد على شفتيه المرتجفتين بينما الخيول الهائجة تبتعد، غبار حوافرها المنفلتة يحجب الرؤية عن السيد وخادمه.

- لن تستطيع شيئاً يا سيدي.

- حاول أن تخرق ببصرك هذا الغبار.

يضع منصور كفيه حول عينيه:

- لا أرى شيئاً يا سيدي، لقد تفرقت الخيول.

* * *

رحلة السواعد السمراء(*)

تركني وحدي.. لم يكن يفعل ذلك في السابق.. خاصة حين يلحظ عيون عزّاب البحر تنتقل من وجه لآخر.

امتدت الشواطئ أمامي.. ضيّعتني.. ضاع وجهي بين آلاف الوجوه الهاربة من رحلة التعب اليومي إلى قلب البحر.

وجهي يتابع الوجوه.. تتغيّر سحّنته عشرات المرات. وجه يفرح.. وجه يحزن.. يرتاح.. يندهش.. ولا يلبث أن يخبو اندهاشه ويموت فضوله حتى يصبح وجهاً بلا معنى.

يأكلني الكرسي.. تصير مساميره رؤوس دبابيس صغيرة تشكّني وترفضني.. فأثور على روتين المقاهي اللزج.. أخلع حذائي، أنطلق راكضة والعيون تركض

*) من مجموعة (في الليل تأتي العيون).

ورائي.. كثير من المجانين يرتادون الشواطئ وكنت واحدة منهم.

الرمل الأسمر يتماوج تحت قدميّ.. يتّحد.. ويتباعد كلما غصت فيه.. يبتسم بعضه.. وبعضهُ يقهرني.. وبعضه الآخر دافئ امتصت رحيقه أشعة الشمس الدافئة.

أقف.. تتسمّر قدماي.. على بقعة رطبة.. أرى قدميّ تمشيان.. يتسرب الماء من بين أصابعي.. أفرح.. أتذكر وجه طفل.. يبتسم.. يرتسم أمامي على الرمل.. أريد أن أدوس عليه لكن قلبي لا يطاوعني.. رغم أن قلبه طاوعه ذات يوم.. فدفعني من الخلف فسقطت على وجهي... وفجّر نتوء صخرة الدم من جبيني وترك لي ندبة... تحسست مكانها.. غفرت للطفل حين تذكرت أنه أصبح الآن رجلاً يعشقني ويحب جنوني..

نظراتي تغوص في البحر الأزرق.. يشدني الماء... يغريني. يتحول البحر فجأة رجلاً شبقاً.. يغازل جمود حواسي.. يغمز لي بعينه اليسرى.. يحرك ذراعيه.. لعابه الأبيض يطفو على شفتيه ينفث دفئاً واشتياقاً.. يصلني فأهرع إليه أرتمي داخل جسده الواسع.. تنام كل

عذاباتي بين أمواجه - أغرق فيه.. وجه الطفل الذي أصبح رجلاً يغرق معي.. تبتعد الشواطئ والمقاهي والوجوه المتعبة الباحثة عن الراحة في وجوه أخرى تتأملها.. وتدرس تقاطيعها.. ثم تقرر إن كانت وجوهاً تصلح لصحبة.. أو.. لصداقة.. أو ربما لسنوات عشق طويل.

أغمضت عيني.. زمَمْتُ جفوني كي لا أرى ما تحتي.. صرت سمكة فضّية تفرغ سوائلها.. تخلصت من عرقي اللزج.. نفثت كل زيف العصور المتراكمة على جسدي.. وداخل ذاكرتي.. خرجت من جلدي.. بصقت لون المدينة الكرنفالي الذي سكن عيني عشرات السنين.. تركت العالم يغرق في مجونه وعشقت لحظة جنوني وحدي: ألتمع بزعانفي تحت الماء.. أفتح عيني.. أرى الرمل يتحادث.. يتداعب.. والصخر ثابت يحتسي لعاب الأسماك. ويمزق أجساد النباتات الملتحمة حوله.. الهاربة من خريفها آملة في ربيع جديد..

تتراءى لي بين تكوّمات الصخر بقايا إنسانية متناثرة.. أصابع أطفال.. عظام أقدام.. وأسنان..

رحلات قديمة كانت تجوب هذا البحر.. سفينة تحمل الوجوه السمراء الكادحة في رحلة البحث عن اللقمة.. والرياح الحمراء تصفع العيون وتأوي في داخلها ثم تهاجم السفينة.. تصارعها. والأكف والسواعد السمراء تنزف قوتها من أجل البقاء.. ذعر؛ هلع؛ رغبة في العودة.. أمل في رؤية العيون المنتظرة على الساحل في بيوت الطين. لكن الأمل يموت.. يموت.. وتصير السواعد عظاماً ملحوسة حتى اخر نقطة دهن... تتراكم بين الصخور.. هنا.. يدفنا الرمل.. ثم يعتقها فتحكي حكايا الليل الذي كان هناك في البيوت الطينية الطيبة. بين الأزقة الهادئة الوادعة والضوء المرسل من سراج الكاز يثير رائحة أشبه بالزمن المنصرم. هناك تنام كل العيون التي ودعت الوجوه السمراء بانتظار رحلة العودة.. لكنها أبداً لا تعود ويبقى فتيل السراج يحترق كما تحترق القلوب البائسة.

أسبح تحت الماء.. أبحث عن شيء ما.. ربما إصبع طفل.. أصرّ على أن يرافق أباه في رحلة البحث

الـذي يسكـن قلبي.. أثـور.. أحتد.. أصرخ. تضيع صرختي.. أطفو.. أتنفس أبتلغ مزيداً من الهواء كي تكون رحلة الغوص أطول... أحتاج «لفطام»[1] لكنه غرق مع «الغاصة»[2] ذوي الوجوه السمراء التي خدشت نعومتها رمال الصحراء فأصبحت كالخرائط المرسومة بألوان الزيت.

أغوص بلا «فطام» أبحث عن الخاتم الذي حوّط إصبعي الناعم، لكن أيديهم السمراء المعروقة الجافة كانت تبحث عن المحار. كانوا يجدونه، فهل أجد خاتمي أنا؟.

أطارد الحجر الذي سرق خاتمي.. ألحق بهذا اللص الذي يحمل شرياني في داخله.. لكنه يبتعد، يضيع.. فأتذكر تحت الماء قصة الطفل فهد الذي رفضت أمه أن يرافق أباه في رحلة التعب.. لكنه بكى.. وناح.. فرقّ قلب الأب.. قال لأمه:

- دعيه يذهب.. يرى.. ويتعلم.. فله دور آتٍ.

1) الفطام: ما يوضع على الأنف ليسد دخول الهواء وهو أشبه بملقط الغسيل.

2) الغاصة: الغواصون.

لكن الصغير ذهب.. ولم يعد؛ من الذي سرق شريان أم فهد؟ حجر، أم حوت؟ من الذي فجّر الدموع في قلبها وعينيها؟

أبكي: تختلط دموعي بماء البحر.. يمتزج ملحها بملحه.. طبقة كالزجاج تفصل بيني وبين عدوّي الذي سرق خاتمي.. تنغرس قدماي بين فكيّ حجر آخر فيذكرني سجن قدميّ بذراع «أبو مساعد».

«كانت ذراعه محصورة بين فكيّ سمك القرش.. وكان يصرخ. لكن صرخته يبتلعها البحر فلا تصل إلى البحارة. شد الحبل.. فشدّوه بقوة سواعدهم السمراء.. وحين طفا جسده على الماء كانت كتفه منهوشة.. وكان لون البحر في عينيه أحمر».

أسحب قدمي.. لكن شيئاً ما ينغرس داخلها.. ربما شوكة؛ أو سن قرش سقطت منه سهواً.. وهو ينهش فريسته. يسيل الدم.. يتلون الماء.. يحيط بي لون الجحيم.. حممٌ.. تنفجر من كعب القدم تتسلق.. ترتفع.. يجذبها كل عمقي.. يسري خدر.. حتى منتصف الساق.. حتى الركبة.. أتحدى الألم.. أبحث رغم الزجاج

المذرور داخل عيني عن الحجر السارق.. ألحق به.. في نفسي لهفة لاستعادة اسم الرجل، ذلك الشريان الذي يتحد مع شرياني؛ ألم تكن عند «أبو فهد» اللهفة نفسها لاستعادة ولده فهدٍ إلى حضن أمه؟؟ شتان ما بين لهفتينا!

توشك عيناي على نعاس لذيذ غريب. أرى مدينة حلم كاملة تنقشها اللذة في ساحة العين؛ ثم عمقها؛ يدي تمتد.. تبحث في لحظة الموت الأخير.. لابد أن أصطاد الخاتم!

يرن صوت «أبو مساعد» في أذني وهو يقول لزوجته الحزينة:

- «ولو محارة واحدة يا أم مساعد؛ محارة أصطادها وفيها «دانة»[1] تغنيني كل السنين عن جَلَف «النوخذة»[2] وأوامره.. وجبروته». لكن الدانة ابتعدت.. وعاد «أبو مساعد» منهوش الذراع..

الحجر كذلك يبتعد بالخاتم.. تتوازى ذراعان..

1) الدانة أكبر لؤلؤة.

2) النخذة صاحب السفينة.

تمتدان.. تبحثان.. واللون الأحمر تحت قدميّ يشكل بقعة ذات لون خرافي.

يمتزج الأحمر بالأزرق.. يصير اللون كضوء حانة ينعكس على ستائر متعبة من روائح الروّاد.. تتلون الأعشاب؛ والأسماك الصغيرة.. والصدفات التي تحوم في بقعة الدم؛ أمدّ يدي لآخذ واحدة.. تفتح سمكة فمها.. أتذكر القرش الذي نهش كتف «أبو مساعد». أنسى الخاتم.. أهرب من فم السمكة.

«جبانة».. صرخ شيء في داخلي – «ما هكذا كان البحّارة السمر يهربون؛ كانوا يبحثون عن لؤلؤة تحبل بها صدفة؛ صراع من أجل اللقمة والعيش الكريم.. وأنتِ تصارعين من أجل خاتم»!

يغرقني خجل أسود؛ وصور الرجال السمر وكفاحهم تحكيها لي كل رملة.. وكل حجر؛ وكل صدفة.. وكل خطر تحمله موجة.. البحر، لأهله البحر لمن احتمل الجوع.. والتعب.. البحر للسواعد السمر؛ للعزيمة التي لم يقهرها سمك القرش.. ولا عواصف الليل.. والنهار أرتفع؛ أرتفع؛ عيناي تعانقان ضوء الشمس.. أمزح..

أنظر ناحية الشاطئ.. هناك على الطاولة التي تركتها تلتمع حلقة دائرية. وترتاح الجريدة أمام وجه رجل تركني وحدي... ولم يكن يفعل ذلك من قبل.

79/7/15

فـوزيـة الجـارالـلـه

(السعودية). أصدرت مجموعتين قصصيتين: في البدء كان الرحيل (1991)، المقعد الخلفي (1999).

لحظات دامعة

صحوت اليوم وفي أعماقي شعور حارق.. لست أدري أهو اشتياق إليك أم غضب من تلك المسافات التي تفصلني عنك..؟!

صحوت باكراً لا أدري ما الذي أيقظني؟! أهي روحي التي لم تعد تهدأ أو تستقر أو تألف النوم أم أنني صحوت على حلم يذكرني بك أحاول استعادته بصعوبة..؟! أتذكر طيفاً وصوتاً متقطعاً أستعذبه وأحاول استعادته لكنه لا يأتي تماماً مثل محاولتي الآن

أن أراك فأجدك بعيداً تضرب بيني وبينك مسافات ومسافات يخيل إليّ أنها مدينة غامضة تشدنا عن بعضنا.. وأتساءل ما الذي حدث لي.. كيف تسلل هذا الشعور إليّ رغماً عني.. كيف سكنني إلى هذا الحد المرعب وقد كنت طوال الوقت أتحاشى ذلك.. وأقول بأنك ذلك الرفيق وحسب.. ذلك الذي يأتي متى شاء ويذهب متى شاء.. ولكن أين مشيئتي..؟! ألوم نفسي مراراً حين أجدني عدت إلى تذكر ذاتي وأحلامي..

وحين تهزني تلك الأشواق من رأسي إلى أخمص قدمي تراني أين أذهب وماذا أفعل.. وكيف أستعيد توازن لحظاتي وكيف؟! ألف سؤال وسؤال ولا إجابة سوى فراغ.. فراغ.. عقارب الساعة تتكتك بهدوء.. تمشي الهوينا وتسحق معها أعصابي وهدوئي وحين أصل الذروة في متاعبي أفر هاربة خلف الأسوار.. أتسوق.. أتأمل العابرين والأرصفة وواجهات المحلات لتحتويني وحدة مخيفة مرة أخرى وثانية وثالثة!.

أحياناً أشعر بأنني بلغت قمة التيه وذروة الفيضان.. عندها تأتيني صرخات متقطعة لامرأة بعيدة تسكنني.. أنتفض.. أرفع رأسي إلى السماء وأبحث عن مخرج

للخلاص.. عن خيمة مضيئة تحملني بعيداً عن هذا العذاب.. هذا الوجع الشرس الضارب في الأعماق.. تمتد يدي بخوف.. أضغط أزرار الهاتف أملاً بأن يأتيني صوتك.. يتدفق إلى سمعي مرة أخرى.. يملؤني حيوية ودفئاً وإشراقاً.. أضغط أزرار الهاتف.. الزر الأول ثم.. الثاني فارتجف وتضعف يدي وتطوف في خاطري عشرات الصور.. أتخيلها إلى جواره.. يتحدثان ويضحكان.. أتخيل أطفاله حوله، أحدهم يتشبث بثوبه والآخر يعبث بيده.. عندها تبرد أطرافي.. تهتز يدي وتتراجع إلى الوراء وأشعر بوحدة شنيعة تجتاحني كأنما أنا وحدي.. لا صوت لا أرواح لا بشر.. وحدي في كون هائل الاتساع.. مقفر تماماً أتخيل بأن كل ما حولي بارد وفارغ بلا معنى وعندها يسكنني شعور قاتل بأنك وحدك الخلاص.. وحدك ستعيد إلى الأشياء نضارتها وبريقها ومسمياتها.. عندها أبحث عنك بجنون.. تضيق الأرض بي حين أعلم بأنك هناك ولا أستطيع أن أحظى بنظرة منك.. باحتوائك.. باهتمامك.. و... أصبح وحيدة منفية حتى عن نفسي.. ثمة نداء ما بين القلب والقلب.. أحاول أن أستعيد توازني وأتساءل ما الذي فعلته بي أكان لهذا

العذاب أن يستبد بي بكل هذه الصلافة لو لم تكن أنت.. لو خلت أيامي منك.. أنت أو لا أنت أيهما أفضل.. أن أحيا بك أم بدونك؟!

كانت البداية طفولية جداً، بسيطة، غير محسوبة، وجدتك مريحاً ومسالماً مثلما نسمات الربيع الأولى..

رجل هادئ حاد الفكر، بقامة مديدة وبعينين ضيقتين تشعان ذكاء.. قلت لابأس يا امرأة فكري جيداً.. رجل هو أشبه بالسقف الذي يظلك ويحقق لك الحماية من رجس هذا العالم.. رجل يحقق لهذه المرأة وجوداً شرعياً بعد حادثة غياب ذلك الحبيب رفيق لحظاتي وسقف حياتي والذي شطرني غيابه إلى نصفين، نصف يبكيه ونصف يحاول لملمة تلك الأحزان المتدفقة بعده.. لم أكن لأحتمل ذلك الكم الباهظ من الوحدة والغياب.. لم أكن لأحتمل تلك الأحزان إضافة إلى نظرات الآخرين وأحاديثهم وهمساتهم ووشوشاتهم التي لا تنتهي.. قلت لي: بأنك ستكون لي ظلاً وحصناً يحميني أنا وطفلي وطفلتي من صقيع الأيام.. قلت آه سيجدان فيك سقفاً يستظلان به وقلباً يحتويهما.. أنت الذي ستعوضني ذلك الحرمان الشامل الذي اكتسح حياتي بأكملها.

قلت يا امرأة لا بأس لن يكون الأمر مكلفاً ولن يرقى إلى المعجزات وإنما هو إجراء عادي يحدث للكثيرات.. رجل يدخل إليك ويهبك بعضاً من نضارة الحياة التي فقدتها زمناً.. كانت هذه البداية التي لم أحسبها جيداً ولم أتوقعها.. نسيت بأني أحمل قلباً متلهفاً كأرض عطشى كيف لها أن تغلق أبوابها في وجه المطر حين يأتيها ندياً بارداً هتاناً.. هادئاً يهطل شيئاً فشيئاً.. ينقر مرايا الروح ويغسل صدأ الذاكرة ويعيد إلى الأشياء بهجتها..

- ليتك تدركين ما الذي فعلته بي.. لقد تغيرت تماماً!

- لا تحتاج بعض الأمور إلى قدرة جهنمية.. ما فعلته كان متبادلاً.

- أنت جميلة..

- وماذا أيضاً؟!

- أحبك..

- و.. ماذا بعد؟!

- ماذا تقصدين؟!

- إلى متى ونحن في هذا السجن.. لن أقول «مسيار» لا أحب هذه الكلمة.. لا أحب مجرد التلفظ بها.. لا أحب تسمياتهم.. ولكن إلى متى تتركني في الظلام؟!

- كنت تعلمين منذ البداية..

- نعم.. ورضيت..

عامان وأنت تحاول إقناعي ولم تيأس أبداً حتى كان لك ما أردت.. بل ما أردنا.. أليس هذا دليلاً على مكانتك لديّ؟ يومها لم أفكر جيداً بأنني سأطالب بإنسانيتي أو أن روحي وقلبي سيخفقان مطالبان بحقهما في الحياة.

- لابد من حل..

- دعي ذلك للأيام..

سئمت عبارتك تلك التي تشعرني بعجزي وعجزك.. كأنما أقسمت السعادة أن تهجرني إلى الأبد.. أهو قدري أن أكون تلك المرأة غير المعترف بها.. دائماً في الظلام.. تختلس أفراحها وسعادتها وكأنها هي مضطرة إلى الاعتذار دائماً عن ذلك الحق الذي تناله لشخص أو أشخاص مجهولين لا تعرفهم.

أفـيـقـي مـن سـبـات الـوهـم أيـتـهـا المرأة الحـزيـنـة.. اغـضـبي.. اصرخي.. قـولي إنـك تـصـادر وجـودي مـقـابـل لحظات تـخـتـلـسـهـا لـي مـن زمـنـك الـراكـض الـلاهـث ومـشـاغـلـك المـتـعـددة.. قـولـي آن الأوان أن تـعـتـرف بإنسانيتي، بوجودي.. آن الأوان أن يعلم الجميع بأنني معك وأنت معي.. وأننا معاً في إطار شرعي لا عيب فيه.. إلى متى وأنت هكذا مغيبة.. مسلوبة الإرادة.. تعانين.. تحترقين وحدك.. لابد من حل..

كنت في انتظار موعده الأثير بعد غياب طال لمدة ثمانية أيام لم يأتني فيها.. هاتفني خلالها مرتين على عجالة كان يطمئن فقط على صحتي.. أحوالي وأحوال الطفلين.. رغم أنهما لم يعودا طفلين.. عبدالرحمن في الثالثة عشرة من عمره و«لولوة» تصغره بعامين كلاهما يعتمد على نفسه ويبدوان أكثر نضجاً من عمريهما.. ربما لأنهما يعلمان كم عانت أمهما.. أو ربما هي رغبة لاواعية في نفسيهما كي لا يشعراني بحاجتهما إلى ذلك الرجل الذي أصبح بديلاً عن أبوهما.. لا أعلم حقيقة لكنني لست قلقة كثيراً عليهما..!

سمعت صوت هدير سيارته في الخارج وأنا التي

أصبحت أميزها جيداً.. كنت قد أكملت زينتي وأعددت طعام العشاء.. لماذا فعلت ذلك؟ ألم تقولي أنك ستواجهينه..

يجيب صوتي الآخر: وماذا في ذلك لابد من تلطيف الأجواء قليلاً ليكون الحديث أكثر حميمية وهدوءاً.. لابأس بذلك خاصة وأنك لا تلتقينه بشكل يومي..

صوت باب السيارة في الخارج.. خطواته.. ينغلق الباب خلفه وصوت المفاتيح المعتاد بين أصابعه.. شعرت بنسمات دافئة لفتني واحتوتني منذ شعرت بأنه داخل أسوار بيتنا الصغير..

- مساء الخير..

قالها بصوت متلهف هادئ تشوبه حشرجة طفيفة «هل أصيب بنوبة برد أم لارتباكه من لحظات اللقاء المختلس؟».. بادرته بابتسامة.. استرخى على الأريكة وتنهد تنهيدة عميقة.. ما الذي تتوقعين سماعه منه.. سيقول لك انتظري.. اصبري قليلاً.. إعلان الأمر سيربكنا وماذا تجنين من ذلك..؟ فقط أن تعرف عائلتي وزوجتي.. ألا يكفي أنني معك وأن أهلك وبعض

الأصدقاء يعرفون.. أليس هذا كافياً.. لماذا تفسدين لحظاتنا كل مرة بهذا النقاش المستمر حول إعلان الزواج.. «تذكرت بأن طفليّ اليوم سيبيتان في بيت جدهما.. سيصبح الجو أكثر صفاء لنقاش أفضل» آه الوقت ليس مناسباً الآن.. انتظري.. انتظري.. متى إذن؟ لا تكابري أنت بحاجة إليه.. نعم..

أي نقاش وأي جدل.. هل تملكين قدرة ثاقبة على تخيل ما سيحدث؟! إذاً أجلي الأمر قليلاً.. وضعت صينية الشاي وأنا أحاول مسح هذه الأفكار الصاخبة التي لم تتركني طوال الوقت.. استرخيت على الأريكة أمامه وأنا أهتف بحرارة: أهلاً.. أهلاً.. تكررت ثلاث مرات.. رغماً عني.. نظرت إليه وكان يشير إليّ بيده مع ابتسامة دافئة بأن أقترب إلى جانبه.

* * *

حسن الشيخ

(السعودية). أصدر رواية ومجموعتين قصصيتين: ولادة فارس قبيلة المطاريد (1998)، اختفاء قدوسة (1999).

علوان الحبشي

كان متأكداً من شئ واحد، أنه هو العمدة علوان الصالح، لا شخصاً آخر يسكنه. أما أول من عثر عليه، فهو العمدة صالح، عندما وجده نائماً في يوم شديد البرودة بين أكوام الصناديق الخشبية المتناثرة، قرب سوق القيصرية. يتذكر بوضوح أن العمدة قد سأله ذلك اليوم عن سبب وجوده هنا، في هذا المكان المليء بالظلمة والكلاب الليلية الضاجة بعوائها. لكن، حينها لم يكن يملك جواباً.

اليوم غير الأمس. والعمدة صالح، الذي لم يخلف ولداً قد رحل، ولم يترك وراءه غير العمودية، وذكرى لكنته العراقية، التي يدعي أن أجداده قد حملوها معهم من البصرة يوماً ما إلى الأحساء. غير إنه ورث العمودية والاسم معاً.

سار علوان الصالح عبر الشارع العام. راقب بهدوء باعة الخضار، وهم ينادون على بضاعتهم. اشتم رائحة الكبد المشوية، التي يبيعها الصغار على (مناقلهم) المجمرة.

في ركن السوق القديم، لاحظ صبياً صغيراً لم يتجاوز الثانية عشرة، يتقيأ. توقف فجأة. ظن أن الصبي هو علوان الصالح. غير أنه تذكر أن أجداده جاؤوا به من بر الحبشة. حينما توقف بقرب الصبي. قال الصبي بهلع:

- أنا لم أعمل شيئاً، سيدي، ماذا تريد؟

حاول علوان أن يضفي شيئاً من الطمأنينة على كلامه:

- من أنت؟

رد الصبي دون مبالاة:

- علوان..

اهتز علوان الصالح بعنف. تأكد أن هناك شيئاً مغلوطاً في ذاكرة الأيام. وحينما لاحظ لكنته المكسرة، ازداد رعباً.

انكفأ علوان إلى الداخل. ثارت هواجسه بشكل شرس (أنا العمدة علوان الحبشي، بل علوان الصالح. فمن هو؟ ومن أنا؟)

ترك الصبي وأكمل سيره، غير ملتفتاً للبرد الهاجم كوحش ضار. اتجه إلى جبل القارة، واختبأ في إحدى مغاراته العالية، ولم يعد يسمع صوتا. وبعد ساعات قليلة لم يعد يرى شيئاً غير أشباح الصخور المتراكمة. ظلام كثيف أحاط به من كل مكان. تلك هي النهاية! من هو؟ من أين جاء؟ وإلى أين سائر؟ لكنه لم يجد الإجابات الكافية في الظلام اللامتناهي.

وجهه الأسمر يفضحه. لكنته المكسرة قليلا، تهتك

اسم أختـه الكبـرى. يحاول استرجاع ملامح ميمونة فلا ينجح في أغلب الأحيان. من قذف به إلى ميناء العقير؟ كيف وصل إلى سوق القيصرية؟ لا يدري على وجه التحديد.

يشعر أنه قد خان أجداده، إلا في حبهم للمغامرة والتجوال الموجع. همس بصمت (عائشة، أين أنت! كيف اختفت عائشة هكذا فجأة. ترى أي مركب لعينة حملت تلك الغزالة السمراء بعيدة عني ورحلت!).

في الصباح الباكر، سمع علوان طرق الباب بشدة. فتح الباب. فرك عينيه بيديه، ليبعد أطياف النوم، فبدتا اكثر احمراراً. وقبل أن يسأل عن الطارق، بادره عبدالرحمن بالصياح:

يا عمدة، شوف حمد إلى الآن لم يرجع الألف ريال التي أقرضتها له قبل عام.

صاح حمد وهو يحاول الانفلات من يد عبدالرحمن التي أمسكته من رقبته:

لا تصدقه يا عمدة. الألف صار ألفين وثلاثة. وعندي شهود أني سددت الألف مع الفوائد.

قاطعه حمد، وهو يدفعه من صدره:

كذاب، وحرامي. وورقة بيع الحبشي عند العمدة.

صرخ عبدالرحمن والرذاذ يتطاير من فمه:

اسأل يا عمدة علوان، حمود صاحب القهوة. واسأل الشيخ خالد، كلهم يشهدون أني سددت له كل دينه.

لم يجب علوان العمدة، رغم كل ذلك الصراخ الصباحي، الذي ملأ الزقاق الصغير. ورغم تجمع العديد من الصبية حول المتشاجرين، وفتح بعض النسوة لنوافذ منازلهن المطلة على الشارع؛ للاستمتاع بمشهد العراك الصباحي، تراجع علوان بهدوء خطوة إلى الوراء داخل منزلة وأغلق الباب خلفه.

من خلف الباب، أتاه صوت حمود:

- يا عمدة علوان، لو حبيت تسمع الحقيقة والتفاصيل تعال للقهوة، فالشهود هناك.

في جبل القارة يحاول أن يتذكر شيئاً، يطفح آلاف المرات على سطح الذاكرة. ميمونة، ذات الوجه الأسمر الطويل، والقامة الفارعة، والألوان الحمراء والخضراء، التي تلف كامل جسمها. يحاور نفسه (متى كان ذلك

اليوم؟ وأين؟) يعاود التذكر بتلذذ موجع (أتذكر أن ميمونة قايضتني بشيء ما. وحينما باعتني للمارد الأصفر الضخم ربان المركب، كانت تبكي. كان ذلك اليوم من أيام الصيف الحارة، والذباب يمارس طنينه بلا هوادة. نعم. أتذكر أنني سألت ذلك المارد الضخم يومها بخوف، إلى أين نحن ذاهبون؟ فهاجمني بالضرب على أكتافي وصدري بهراوته المتيبسة حتى أدماني.

أما رجاله من البحارة الغلاظ، فقد صرخوا في وجهي أن اكف عن السؤال والبكاء. بعدها بقيت منحشراً بين الأمتعة والصناديق المتراكمة على المركب، أرتجف من الخوف والجوع لأيام عديدة).

لا يتذكر كل هذه الأشياء بدقة. ربما حدثت بشكل مختلف قليلاً، أو ربما لم تحدث مطلقاً. عائشة! لا يدري أهي أيضاً من وحي خياله، أم أنها كانت يوماً ما حدثاً في تاريخه!

الأحساء بعد كل هذا، تبقى الشيء الوحيد الذي يطمئن إلى وجوده، والحب الوحيد، الذي يثق فيه بأمان في مغارة جبل القارة.

حاول أن ينسى مكان ولادته. تاه هناك طويلاً حالما باللحظات التي يرجع فيها راكباً إلى ما وراء البحار، حاملا معه ذاكرة لا تسعفه للحاق بالأجداد. غير أن دروب البحر طويلة وبعيدة و مخيفة.

* * *

خالد محمد الخضري

من مواليد (1968) (السعودية).
أصدر مجموعتين قصصيتين: كوابيس المدينة (1997)، امرأة من ثلج (1999).

حرية قفص

شديدة الفرح، تتغنى طرباً بالهدية التي قدمتها إليها. هي تحب العصافير، تحب أن تعيش إلى جوارها، تريد لحياتها أن تكون حديقة غناء تكسوها الأزهار وتغرد في سمائها العصافير.

- إنها حقاً أجمل هدية.

- هل أسعدتك فعلاً؟

- نعم، عصفوران جميلان، يمثلان السعادة، أريد أن

أعلقهما هنا وسط الصالون، ليكملا جمال مدخل المنزل.

- فكرة رائعة!

ظل صغر حجم القفص أمراً مزعجاً بالنسبة لها، يقلقها هذا الأمر، فهي لا تريد لزوج العصافير أن يعيشا ولو لحظة شعور بالضيق. قالت بلهجة جادة:

- هل تأكدت يا أحمد أنهما ذكر وأنثى؟

- نعم، نعم.

كان رده موافقاً لرغبتها. يريد أن يشعر أنها في قمة السعادة، يريدها أن تستشعر هذا الأمر مهما كلف الثمن.

سارعت نحوه وهو يجلس على كنب الصالون، فاجأته بالخبر:

- أحمد، أشعر أن العصفورين تعيسان للغاية.

- ......، ....

- حريتهما مقيدة، هما محبوسان، ألا ترى؟

- وماذا تريدين أن نفعل؟

- إما أن نحضر لهما قفصا كبيراً جداً، أو نجد حلاً آخر.

- وهل تعتقدين أن القفص مهما كبر سيشعرهما بالحرية؟

القفص قفص، مهما كبر، سواء أكان من حديد أو مذهبا، يظل يمثل قمة الاحتجاز للحريات.

آه، لقد أعادته إلى ذكرياته مع أصدقائه عندما كان أعزبا، يسمع صوت صديقهم محمد وهو يردد «الزواج قتل للحريات، حتى وأن كان قفصاً ذهبياً». كان لا ينوي الزواج مطلقاً، حتى لا يحتجز داخل قفص.

فاجأته أمل بإخراج العصفورين من قفصهما، وتركهما طليقين في صالون المنزل يمرحان؛ لما يتمتعان به من حرية. هذا الشعور البهيج الذي شعر به العصفوران لم يستمر طويلاً، حيث تضايق رب المنزل من وضعهما، لأن لكل شيء ثمن، وأول ما يمكن أن تدفع ثمنه غالياً «الحرية». ثمن حرية العصفورين اتساخ أثاث المنزل جراء ما يخلفانه، وما يتساقط ليلاً ونهاراً على الأثاث.

- أحمد، ماذا نصنع؟

أحمد صامت كما هي عادته في مثل هذه المواقف.

- العصفوران، لقد عاثا بأثاث المنزل.

- فكري في حل مناسب، واصنعي ما بدا لك.

- هكذا أنت لا تريد أن تساعدني في شيء.

- لم أتوقع أن يتسبب العصفوران في مشكلة لنا بهذا الحجم، وإلا لكنت قتلتهما قبل أن أحضرهما إليك.

- حرام عليك، أن تقتل عصافير!

بادرت أمل لإعادة العصفورين إلى حيث كانا في القفص، واستمرت في رعايتهما. كل صباح تقوم بوضع الطعام والشراب لهما، ولكنها فوجئت أن أحدهما أضرب عن الطعام والشراب تماماً، وظلت تراقبهما بشكل مستمر، فشعرت بمحاولات العصفور الآخر إقناع خليله المضرب عن الطعام بالإقلاع عن الإضراب، ولكن دون جدوى.

عاد أحمد من عمله وعندما دخل المنزل إذا به يفاجأ بوجود أمل جاثية على الأرض حزينة، وبجوارها العصفور المضرب عن الأكل الذي فارق الحياة للتو، وظل العصفور الآخر في القفص ينظر إليهما نظرات غريبة.

* * *

أحمد إبراهيم القاضي

من مواليد 1974 (السعودية). أصدر مجموعة الريح وظل الأشياء في 2001.

قلق

كان يردد «من سار على الدرب وصل» ويسائل نفسه؛ إلى أين يا ترى وصل؟ وهل كل من سار حقاً وصل!. كان جازم الاعتقاد بعدم حتمية هذه الكلمة.

يقول في نفسه: إن هناك من وصل بالركض والقفز سواء على الدروب أو من الشبابيك المطلة عليها. عندما ألح عليه أبوه بهذه المقولة في نوع من التوبيخ كانت تطل هذه المقولة بقدميها ساخرة في وجه الولد الشاب. لقد قرر أن ينتقم من هذه المقولة شاخصاً بصره نحو

الأرض التي تحمل الدرب المزعوم، إنه لا يبالي بتوبيخ أبيه، فليس الأول والأخير. يتذكر كلماته: أنت لم تنجح لأنك لم تسر على الدرب، ولست مطيعاً لأنك لم تسر على الدرب، و...

لقد ضاق ذرعاً بهذا الدرب الذي يتهدده صباح مساء، قال: لابد أن أصل إلى نهاية الدرب لكن أيَّ الدروب أسير عليها، هل أبدأ بالطريق الذي يقسِّم القرية إلى نصفين من الجنوب إلى الشمال، أم آخذ طريق الجامع فالسوق فالضواحي القريبة من الوادي ثم هكذاً جنوباً، بعدها سأقف أمام أبي مزهواً وأقول له لقد سرت على الدرب وأحضر له شيئاً من نهاية الدرب، لتكن شجرة أو حجراً أو أي شيء، نعم.. أي شيء.

حمل معه خارطة صغيرة توضح الدروب (كان قد سرقها من مدرسته الفيصلية) نظر إلى ألوانها فوجد الرمادي يعبر عن تلك الدروب والأخضر عن الأودية والمزارع والأزرق.. لكن أين الأزرق، إنه لا يوجد إذاً لا يوجد ماء. لقد حمل معه زمزمية وأخذ قلماً أزرق وخط خطاً طويلاً في الخارطة التي حدد انطلاقته في زاوية

قصوى منها، قال: الأزرق ليس موجوداً إلا أني أحمله معي، إذاً هو موجود. ثم انتظر إلى طلوع الشمس وبدأ السير. مشى وحيداً في ساعات الصباح الأولى، وحيداً إلا من أصوات الصباح غير المفهومة.

قرر أن يطرد أي خوف يداهمه، قال: نعم. ليس معي سلاح، لكني أحمل أظافر قوية شكلها غير ظريف، لكنها لا تبخل بجهد حين اللزوم، ربيتها من خمسة أشهر، منذ أن طردني مدير المدرسة بسببها. سأعلمهم كيف يستفيد من هو مثلي من ما يملكه.

عندما بدأ السير لم يكن النظر إلى الخلف. لقد كانت هذه إحدى قراراته الصعبة، كان مولعاً بتوديع الأشياء بعينه قبل ذلك، فهو يطارد الشمس في مغيبها كأنما هناك أحد يلوّح له.

يظل يحدث نفسه بنهاية الدرب الذي يسلكه ثم سيعود إلى أهله وقد نجح في مهمته جاعلاً موت المقولة على يديه. عندما تلحُّ عليه هذه الأفكار يأخذ قبضته ويتلمس عضلات صدره وذراعيه ويقول: سأكون قوياً جداً.

مشى ذلك اليوم كله حتى حل الظلام، اجتاز مسافة لا بأس بها، كان جاداً لدرجة أنه لم يطارد الفراشات التي كانت تعترضه وتغريه سابقاً بركض حلو، ولم يقف أمام شجر الدوم بثمراته المفيدة بل ظل يرمقها قائلاً في نفسه: فيما بعد. كل تلك الهوايات يعدها ترفاً أمام مهمة رجولية يقوم بها. لتكن تلك الهوايات تحت وسادتي في البيت أو في حقيبة المدرسة، أما أنا الآن هنا لا أشبهني هناك.

خطر في باله أن كل الدروب لها نهاية كما هي الأشياء إلا أن اليأس بدأ يدب في نفسه في يومه الثالث، فالخبز والماء أوشكا على الانتهاء وهو كلما يخرج من واد يدخل آخر. بدأ يحدث نفسه بأن هذا الطريق ربما ليس هو الدرب الذي يتحدث عنه والده، وفي هذه الحالة يكون أضاع الوقت والجهد والزاد: هل أعود إلى البيت ومعي شجرة أو حجر وأخبر أبي أنني وصلت إلى نهاية الدرب، لكن ربما يعرف كذبي ويظل يلحُّ عليّ بالدرب الذي سار عليه أحدهم ووصل.

بدأ يحدث نفسه بهذه المشاكل: المواصلة أو تغيير

الدرب أو العودة، قرر أخيراً أن يخلد للراحة ويكمل باقي زاده ثم يبحث عن ماء، بعدها يقرر القرار النهائي.

لم يجد كثير عناء في بحثه عن الماء تذكر مقولة: «إن الدروب التي تضل الخطا نحوها لا تؤدي إلى هناك. بدأ يقول بصوت مرتفع قليلاً إذا كنت لم أصل إلى هناك فأنا ما أزال هنا، أي أنني لم أتحرك وإلا ما معنى ذلك الكلام، لكن لابد لي من مخرج (لقد عقد العزم على تغيير الدرب) قال: من هذه النقطة إذاً سأغير الدرب فبدلاً من شمالاً سأسير جنوباً.

لقد كان إحساسه بالجهات يثير في نفسه اشمئزازاً لتلك المادة بمعلمها التضاريسي الوجه لذا كان دائم البحث عن الشمس.

حاول بعد قطعه مسافة ليست بالقصيرة اختبار شجاعته فبدأ يطارد الكلاب الضالة يرجم هذا، أو يفزع ذاك. ويلوح بعصا على الطيور المنتظمة على تلك الأشجار. فجأة وجد نفسه داخل متاهة من الشجر لا يستبين معها الدروب ولا شيء سوى ضوء الشمس يتلصص من خلف الأوراق كلص.

ما هذه الورطة.. كيف أبحث عن الدرب؟ كيف أخرج؟ أثناء ذلك وجد ريحانة بجانبه فقطف جزءها الأعلى فسقطت متخشبة. حظي تعيس حتى مع الشجرة ووجد شجرة موز حاول ارتقاءها، وما أن مد يده إلى إحدى موزاتها حتى وجدها تميل نحو داكن من اللون وتصبح مهروسة. هل حظي التعيس وصل بي إلى إفساد الطبيعة. إنني لم أفعل شيئاً فربما ليس حظاً نكداً، فليس الأمر سوى أن موزة رأيتها من بعيد صفراء نظراً لأشعة الشمس، وعندما اقتربت منها وجدتها داكنة ومهروسة، أما الريحانة فأظنها لم تشرب الماء منذ زمن ولذا عندما لمستها لم تكن سوى صورة ريحانة ليس إلا.

كان يعرف أن حظه ليس بالجيد عموماً إلا أنه لا يخجل من أي تبرير، وهو لا ينسى ذلك اليوم الذي ذهب فيه لزيارة صديق دراسة فرأى الصينية المعدة بالقهوة والحلويات آتية فقال كلمته الشهيرة (كأنك تواً أحضرتها من المصنع) بسبب لمعانها وجمالها طبعاً.. وبينما صديقه يتهيأ ليقول له (قل ما شاء الله) سقط هو والصينية ولم تفلح مساعيه لتفادي تلك السقطة حتى أن ولده خرج

على إثر ذاك الصوت. لم ينس نظرة صديقه تلك، وبعدها نُعِتَ بالعيان.

لقد استطاع تسلق إحدى الشجرات لكي يستبين الطريق الذي سرعان ما رسم له في ذاكرته خارطة، وبدأ بالنزول والتوجه نحو ذلك الدرب الذي أعياه البحث عنه. قال: لقد وجدتك أيها الدرب الهارب. تضللني؟ تضللني.. أضع قدمي عليك فتدخل خطايا الأحراش والمتاهات؟ لا لن تستطيع الفرار سأدوسك بكل قوتي حتى أطبع رقم جزمتي عليك ليتذكرني كل من يأتيك أو يدوسك مثلي.

درب لا تدوسه قدمي لا يصلح لمشي الرجال. لقد قال كلمته الأخيرة بكثير من الزهو بالنفس والاعتداد بنجاحه فاكتشاف الدرب جعله يتخيل أنه أحبط محاولة شيطانية لتضليله طبعاً مع مباركة من الدرب المعني.

لقد سار عدة أيام أخرى وفقد الكثير من كسله في الطريق. تذكر محاولات والده لإيقاظه صباح كل يوم وهو يماطل. تذكر التحجج بالتعب عندما توصله أمه إلى السوق.

إنه يعلم أن أمه وأباه قلقان لكنه فرح في نفس الوقت. إنه لن يعود إليهما ذاك القديم. بل يستتبع الدروب إلى نهايتها. ليعود طيفاً آخر بألوانه الزاهية.

تفاجأ عند أحد المنعطفات بلوحة غير واضحة الخط قد أكلت الشمس ما خُط عليها إلا الكلمة ما قبل الأخيرة قريبة الشبه من كلمة (نهاية...). لقد فرح كثيراً بهذه اللوحة فتأبطها وجعل يسير بعدها بشكل جنوني قائلاً هذه هي دليلي الأول على بلوغي النهاية (نهاية الدرب) لقد نجحت، وبقي أن أعزز نجاحي.

سأقول له: وصلت النهاية وهذه اللوحة معي، ويجب مواصلة السير بعدها حتى إلى نهاية النهاية.

ثم بدأ يغني كلمات فيروزية: أعطني النايَ وغنِّ. ولأنه لا يحفظ كلمات الأغنية ارتجل كلمات على نفس اللحن:

في النهاية لا تسلني إنها رمز الدروب

ونهاية النهاية.

كان شكله لا يدل إلا على متشرد فقد كل شيء

الجزمة والزمزمية والقميص. لقد بدأ يتساقط.. هل أصابه مس.. إنه يرقص ويغني بشكل هستيري ويضرب بيده في الهواء. أتراه يشتت غمامة حول عينيه.

من تتبعوا الطريق الذي سلكه وجدوا أشياءه مبعثرة على نفس الدرب وفي آخر الدرب جثة ممزقة واللوحة المعدنية التي حملها عند رأسه كشاهد قبر ليس واضحاً عليها سوى النهاية.

1419هـ

* * *

طــــلـــــق المـــرزوقـــي

مــــن مــــوالــــيــــد (1967) (الـسـعـوديـة). نـشـر عـدداً مـن القصص في الصحف.

مجرد نص

افترسني القلق، حاولت أن أغني فخانتني حنجرتي، رحت أتفرس في الأشياء التي حولي محاولاً تبديد الخوف الذي بداخلي.

الطاولة المسترخية أمامي صنعت من شجر الزان الفاخر، مطلية باللون الأحمر، استقر على سطحها لوح من الزجاج الشفاف المشطوف بعناية من الأطراف، وعلى الطاولة وضع مصباح قراءة عُمل من المعدن الأسود. الكرسي الذي خلف الطاولة صُنع من الخشب، له مسندان

خشبيـان مقوسان متجهان ناحية الأسفل وظهره كُسي بـالجلـد الـفاخـر، الأسـود، غـرسـت بـه أزاريـر مـسـتـديـرة الـشـكل، مـن نـفـس نوع الجلد كل أربعة تـشكل مربعـاً. كنت طفلاً، أمي لكزتني بنظرة غاضبة، أبي انهال علي بصفعات متواليـة، جعلـتـني أترنح كعود خيزران. لا أعرف لماذا تقفز هذه الحادثة إلى ذهني كلما تلبستني حالة خوف.

في الركن الشمالي من الغرفة انتصب بحياد عمود من الرخام الأبيض، استقرت عليه آنية ورد صنعت من النحاس المحروق، لونها يميل إلى البني الداكن، غرست بداخلها وردتان بساقين طويلتين، الأولى حمراء مازال لونها ظاهراً رغم الشحوب منتصبة تغالب الموت.. الأخرى لم أتمكن من معرفة لونها.. ساقها انكسر تحت التاج تحديداً، وانكفأت أوراقها إلى الأسفل كانت قد ماتت تماماً، نوافذ الغرفة توارت خلف ستائر سميكة حمراء قانية، الجدران مطلية باللون الأبيض الكريمي الذي يشعرك بالبرد كلما أوغلت النظر فيه.

صوت الباب وهو يغلق أرعبني، انتصبت واقفاً.

الـرجـل ذاتـه الذي قـابـلـتـه قـبـل عـام يرتـدي بـزتـه العسكرية، تقدم باتجاه الكرسي الذي خلف الطاولة دفع الكرسي وجلس، غاص بداخله، كان قصيراً بشكل ملفت، لم أعد أرى منه سوى وجهه وكتفيه، لباسه نظيف، حول عنقه شارات حمراء وقطع من نحاس، وجهه جامد كأنه قدّ من ثلج.

استخرج ورقتين من درج مكتبه، ناولني واحدة وأخذ الأخرى عرفت أنها نسخة من الورقة التي معي، ثم شبك يديه على سطح الطاولة وقال بلغة آمرة: اقرأ.

انكببت على الأوراق:

(كانت بغداد أسلمت عينيها للسهاد، انحدرت بمحاذاة دجلة، استبد بي الحزن، فأسلمت فمي للأنين، الضجر كائن خرافي، أخذ يختال في زوايا المدينة، منذ أن ماتت أمي تجتاحني رغبة في البكاء، التفت إلى دجلة خيل لي أنه ساكن لا يتحرك. أمي قبل موتها كانت تمارس العويل كلما ضاع أبي في دروب المدينة، وكانت تجزم بأنه لن يعود).

استرقت نظرة سريعة إليه، استطلع ملامحه كان

وجهه متعطناً وقد غرس يده اليمنى في خده، فظهرت تجاعيد وجهه بوضوح، كان يحدق في النسخة التي أمامه.

رحت أقرأ بسرعة، وأدغم بعض الحروف (أمي تعجن الدقيق بالوجع في تنورنا القديم كانت النار تلفح وجهها الوديع، فتتقيها بطرف كمها المهترئ..).

قاطعني بعصبية، قال: أعد واقرأ بطريقة واضحة.

بدأ جسدي ينز عرقاً، وصوتي بلله الخوف، رحت أمط الكلمات.

(أمي تعجن الدقيق بوجع، وتدفنه في تنورنا القديم، كانت النار تلفح وجهها الوديع، فتتقيها بطرف كمها المهترئ، أبي أصاب قدميه الصدأ منذ أن أهين على قارعة الطريق).

عدلت من وضع جلستي، وضعت يدي على فمي احم احم احححححم.

ناولني كوب ماء دون أن يتكلم، أخذته، صار يرتعش في يدي، كرعت الماء دفعة واحدة، مازلت أشعر بالظمأ.

صمت برهة، أحاول أن أستجمع قواي.

قال: (تذكرت أن جيكور..) اقرأ من هنا...

نقلت بصري على الصفحة بحثاً عن بداية المقطع، قرأت ورحت أحز على نهاية الكلمات بأسناني.

(تذكرت أن جيكور تدثرت بالضجر، لملمت جدائلها وجلست على ضفة النهر، مدت قدميها الداميتين إلى الشاعر، الذي راح ينسل الشوك من قدمها بتؤدة).

قال بهدوء مخيف من هي جيكور؟

- مدينة عفواً قرية... قرية الشاعر السياب.

أشار بيده أن أكمل.

(حاصره الوجع وراح يرقص على قدم واحدة).

قف. قالها بصرامها: وتابع، لماذا قفزت بعض السطور؟

أعد.. أعد..

عدت لقراءة المقطع الذي تركته عمداً.

(أخذ الشاعر يضرب جذع النخلة التي أمامه، عبأ فمه بالنشيد:

مطر مطر مطر

وكل عام حين يعشب الثرى نجوع

ما مر عام والعراق ليس فيه جوع

حين فرغ من النشيد حاصره الوجع، فراح يرقص على قدم واحدة، حتى أوجعه التعب، انسل عائداً إلى المدينة)

باغتني بسؤال:

ما الذي تعنيه بهذه القصيدة؟

تصنعت الهدوء.

قلت لم أقصد شيئاً سيدي هذا يحدث كثيراً مع الناس.

قال بسخرية: وما الذي يحدث كثيراً مع الناس يااال سيدي؟.

- الحديث عن الجوع.

أضفت بلغة مستجدية، وبارتباك ظاهر: لا توغل سيدي في التأويل، وشعرت أني عاجز عن وقف خياله الجموح الذي سيطوح به بعيداً.

- يبدو أنك تمارس الهرطقة.

قلت بصوت تنقصه الثقة: لا والله يا سيدي أنا مواطن صالح لكن التأويل يحمل الكتابة أكثر مما تحتمل.

قال بلغة ساخرة دون أن تظهر ملامح الابتسامة على محياه:

كلام معقول رغم، أني أشك في صحته.

- القصيدة للسياب وليست لي، لم يعلق وأشار لي أن أكمل.

صوتي بدأ يضعف، ويخفت قليلاً (دفنت قدمي في ماء النهر، بصري مازال معلقاً في الضفة الأخرى، حيث منبع ضوء في البعيد، رحت أجمع الطين اللزج، وأشكل منه بيوتاً لها تفاصيل وجه أمي، كنت أصنع لزوايا البيوت أعمدة صاعدة إلى السماء، تشبه مآذن المساجد) تسارعت نبضات قلبي، والدماء أخذت تجري في أوردتي محدثة نبضاً هائلاً، العرق مازال يسح من جسدي.

بدأ المكان يتلاشى أمام عيني، والسطور بدأت تصغر وتتشابك مع بعضها البعض.

(خبأت رأسي بين ركبتي، تداعى إلى سمعي من

أعلى النخلة التي أجلس تحتها ، هديل حمامة تنوح، كان صوتها مزيجاً من العويل، والغناء، الناس يقولون، إن الحمام ينوح منذ ألف عام، أحسست بالفجيعة واعتراني شيء من الألم) السطور أخذت تتداخل، دعكت عيني بكلتا يدي، حاولت أن أستجمع شتات الكلمات، كنت أقرأ بصعوبة، جموع الناس تحدق في البعيد..) صرخ في وجهي: قف، ثم سحب الأوراق من أمامي وبدأ في استجوابي.

* * *

فـاطـمـة
الـكـواري

مـن مـوالـيـد 1957 (قـطـر).
أصدرت مجموعة بداية أخرى (2000).

الرحلة الأخيرة

مر الوقت بطيئاً، ومثقلاً، بكم هائل من الأحاسيس المتضاربة والتوترات المتلاحقة ولحظات من الترقب والحذر، وبعض من أصداء الذكريات رسمت ملامحها بدقة في مخيلتها، لم تشعر بوقع خطوات بناتها مندفعات نحوها وهن يحاولن إخفاء خيبة أمل، أمل وقف شامخاً في أعماقها يهدئ من روعها ويطمئنها بعودته سالماً، شعرت بكيانها يقع من علو شاهق عندما عانقها حفيدها بيديه الصغيرتين قائلاً:

- أحبك كثيراً، وأحب خالي سلطان.. وتابع في دهشة واضحة:

- جدتي.. أين هو؟..

وشهقت والدته وتعالت شهقات أخرى يخالطها نحيب لم تعد تعي ما يدور حولها، وما يدور داخل أعماقها، وبشعور اختلطت فيه الإرادة واللاإرادة احتوت حفيدها بين ذراعيها وأخذت تقبل وجهه وتقبل فيه وجه سلطان.. أصبح الخوف راسخاً في خلاياها، ينهر فيها صلابتها.. يمنعها بقوة وقسوة من معانقة الأمل.. الأمل في عودة سلطان من رحلته.

كانت رحلة، مجرد رحلة تعوَّدها ومجموعة من رفاقه، شدته رحلات البر ومطاردة الأرانب البرية بحثاً عن الانشغال الوقتي والهروب من الملل والفراغ والانصهار في وهج المغامرة.

تجمعت النساء حولها، وضباب كثيف من الحزن غلف زوايا المسكن.. أحاط الجمع بهالة من الدهشة، الحقيقة المرة، تدحرجت وأصابت قلبها بهلع شديد ونيران الشوق استعرت قبل أن تتقن حقيقة أنه الفراق الأخير، وجاء صوته الحنون من عمق الذاكرة:

- لن أتأخر.. كما ليلة البارحة.. لا تقلقي.. سأكون هنا قبل منتصف الليل.

وتخيلت وجهه الحبيب يطل، واختلطت الذاكرة بأشياء مريرة، وألف وجه معزياً، ضاقت بهما حدقة عينيها كم من يوم مر وهي لا تستطيع أن تعي، والوعي في جسدها خدرته إبر الطبيب، ولكن ذهنها يأبى التخدير، يأبى كل المسكنات، الألم اشتد حتى وصل عنان السماء، حفر باطن الأرض والجسد النحيل يرتعد خوفاً، وبكاء وملاك الحب يهز أوصالها، يملأ بالسكينة فؤادها ويردد قولاً هنئت روحها لسماعه:

- سلطان حملناه بأيدينا الكريمة إلى أعلى.. إلى حيث النعيم الدائم قري عيناً يا أم سلطان واهدئي..

ارتاحت لهذا القول الذي تردد كثيراً منذ رحيله، في صحوها ومنامها.. ارتاحت لهذا الإحساس وأغمضت عينيها لتحتفظ بأكبر عدد من صور الذكريات التي تحمل كل تحركاته وكل كلماته وكل أشيائه، مازال صوته يداعب مسامعها:

- أحبك يا أمي وأعدك بأن لا أتأخر.

وبرعشة فراق مسعورة تفتح عينيها من جديد، تنادي بناتها، تدعوهن للاقتراب، يقتربن تحتضنهن، تطفئ بعضاً من أشواقها إليه.. تمتزج دموعهن بدموعها، والتنهدات تمخر الأفئدة، وتنحسر الأمنيات والفراق المر يلهب مشاعرهن.. صرخت بأعلى صوتها صرخة هستيرية هزت سكون الحزن وهدوءها الهش:

- لماذا.. لماذا تأخرت يا سلطان.. سلطان يا قرة عيني وروحي التي أحيا بها.. سلطان.. سلطان..

تعالت أصوات نحيبهن مع صوتها المخنوق بعبرات البكاء:

- الله يرحمك يا.. يا أخانا وحبيبنا.

كلمات ممزوجة بالأسى، ترددت على شفاههن..

- إنا لله وإنا إليه راجعون.

الغصة أكبر وأكبر من أن يستوعبها العقل (اللهم لا اعتراض على مشيئتك).

قالتها أخت سلطان الكبرى وهي تحتضن والدتها وبصوت متحشرج:

- أمي أنت مؤمنة فدعي اتكالك على الله.. الموت

مصير كل البشر ويكفينا إيماناً قول الله تعالى **﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾**.. خبأت رأسها بين يديها ولسانها يتمتم بأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم رفعت يديها عن وجهها الذي خبأته في محاولة يائسة للتظاهر بالصمود وهبت قائمة من على الأرض، كيف خطت خطواتها كيف وصلت إلى غرفة الحبيب الغائب، لم تشعر بكل ذلك حتى الذاكرة الوقتية منهارة، رمقت أشياءه وعيناها تفيضان بدمع غزير.. اقتربت من المشجب.. أمسكت بثوبه وغترته آخر ما بدل من ملابسه وضمتهم إلى صدرها وهي تأخذ نفساً عميقاً، تشم رائحته الحبيبة وبعض من حسه بقي عالقاً بغرفته، روحه المرحة، مداعبته، شقاوته المحببة، قفشاته الصبيانية، ملامحه الضاحكة، مواعيد نومه وصحوه.. كل هذه الأشياء كيف ستكون بدونه؟ أحلامه من سيكملها ؟

ارتمت عاجزة عن تخيل الحياة بدونه على سريره.. أجهشت بالبكاء وهي تردد :

لن يحتضنك سريرك.. سيكون فارغاً.. كما الحياة

ستظل فارغة.. لن تأتي تقبل جبيني في الصباح.. أو في المساء كعادتك دوماً.. وكما اعتدت من فرح الدنيا، الصباح والمساء وكل الأوقات الآتية لن تضمك بين دفتيها، كنت تملأ حياتي بالبهجة والسعادة والفرح والنور، لي أحلامي الخاصة بك، أريد تحقيقها، زوجة وأولاد أرى فيهم طفولتك، أرى فيهم امتداد اسمك واسم والدك الذي شل الحزن تفكيره وأتعبه الانتظار عند عتبة المجلس، أبى قلبه أن يصدق أنك انفصلت عنه، أبت أحاسيسه التأقلم مع الفراق، فراقك أنت وإنه لن يراك أبداً تقف بجانبه كعهده دائماً بك.

أنت أمله الوحيد، وخوفه الشديد دائماً عليك، ولأنك الامتداد الوحيد له.. رفاقك كل يوم يلتفون حوله يعزون والدك فيك ويعزون أنفسهم، وأخذت نفساً عميقاً يحمل ألماً مضاعفاً وشوقاً لرؤيته جارفاً يخطف بين الحين والآخر هدوءها وبعض من سكينتها.. خطت نحو الباب وأقفلته على أشيائه، المساحة التي تركها سلطان في حياة والديه شاسعة نشعر بها تمتد مع أحزاننا وفراقه خنجر مزق أفئدتنا، آلامه ستمتد كلما لاح وجه سلطان في أزمنة الرحيل والنسيان.

أحمد علي آل مريع

(السعودية). نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.

كائنات....

كائنات كثيرة تفترش الأرض، وفوق المنضدة، وعلى الكرسي المجاور. تنتشر في الهواء، تملأ الأفق، تحجب عين الشمس. تأملها أكثر، فرك عينيه وتذكر أسطورة «عقلة الإصبع والأقزام».

«كان عددهم سبعةً. هؤلاء الأقزام يتزايدون، يتناسلون في أرجاء المكان، ويتقاطرون عبر ثقوب الزمان».

أزعجته قذارتهم. قهقهاتهم كأنها إبرٌ موقدة تخترم

جسده النحيل. أخذ يلوح بيديه، ويشيح بوجهه ذات اليمين وذات اليسار. كان لغطهم يرتفع. بدأوا يتحلقون مفتونين حول كل شيء، ويظهرون عابثين فوق كل شيء، يبتلعون هواء الغرفة، وأصواتُ تشظٍ حادّة ترجّعها الجدران. أطل برأسه من النافذة، كانت الشوارع تكتظ بهم. بدت المدينة وكأنها تزفُّ هؤلاء المشوهين!

أحدهم بلا رأس لكن مخالبه طويلة صدئة متسخة. آخر بدين لا تظهر قدماه، ويجثم كرشه على الأرض. ثالثُ له جسم نكرة، لا شكل له، ولا لون، تميّزه من رائحته النتنة! رابعٌ له ثمانية أرجل كالأخطبوط: يحرك أرجله بخفة ويديرها بكفاءة بالغة. شدت انتباهه إحدى أقدامه، كانت بشعة ذات تجاويف لتفريغ الهواء. يبدو أنه كان يستعملها في الصعود على أكتاف فرائسه، أو يتسلل بها إلى أعتى المعاقل. وخامس تلتهم عيناه وأذناه جسده، وسادس يحمل دواةً بلا حبر، وسابع يتأبط كتابًا بلا أوراق، وثامن له نظارة ضخمة تسيخ في وجهه لكن بلا زجاج! وتاسع يدلق الفضلات من جوفه ويدفعها بلسانه.. وعاشر شرهُ يسرق كل ما تقع عليه عيناه

الجاحظتان؛ حتى الألقاب ينتزعها، ويزرعها في سترته. أحدهم ينسج أكذوبة سوداء متداخلة الخيوط، وآخرون ينطرحون حولها يقتاتون عليها. جمع نفسه الشاردة، حاول أن يُعبِّر كل ما رأى، وتمتم في سرّه:

«كائنات قذرة، تملأ كل أمكنتي، تستغرق كل أزمنتي، تعبث بكل حاجاتي. الآن عرفت لماذا كنت أجتهد فلا أجد ؟! وأزرع فلا أحصد؟».

وقع في نفسه أن يفتك بهم:

«هم كثير، كثير، يكفي لإبادتهم جميعاً مبيدٌ حشري. إنهم حشرات مؤذية، متلونة، لها وجوه الناس، وقامات البراغيث، يلبسون مثلنا، يتكدسون حولنا، يخطفون سماءنا، ينتهبون مقاعدنا، يستحوذون على أسمائنا.. ويقهقهون! لا، لا، بل سأسكب عليهم مطهِّرا مركزاً كما أسكبه في المرحاض. إنهم يخشون الطهارة. المهمة أصبحت سهلة الآن، أصبحت أراهم بعيني رأسي».

ردد بصوت خفيض:

«يالها من كائنات حقيرة، مزعجة! رائحتها المنتنة

تسدُّ أنفي. طعمها المرّ يسكن حنجرتي وصدري، كائنات فضولية!»

نهض مذعوراً، نفض الوسادة، عرف أنه كان يحلم. ملأ رئتيه بالهواء النقي حاول النوم بارتياحٍ هذه المرَّة. حمد الله على أنه رآها على حقيقتها، ولو لمرّة واحدة في حياته!

* * *

جـعـفـر الجـشـي

مـن مـوالـيـد (1964) (السعودية). نشر عدداً من القصص في الصحافة المحلية، يعد لإصدار مجموعته الأولى.

قصص قصيرة جداً

نضوج

يوم زار قريتنا موسيقي مشهور.. كان حاذقاً، حتى أنني بهرت به وتخيلت نفسي سلماً موسيقياً بين أنامله.. أبديت إعجابي به لأبي فأجابني بأنني مازلت صغيراً.

ويوم آخر زارنا رياضي سجلت سمعته أرقاماً قياسية.. تشبثت به وصارت هوايتي للرياضة مرضاً لا سبيل لشفائي منه، علم أبي بالأمر فزاد في توبيخي.

كـبـرت عـدة سنـوات وطـوى الـنـسـيـان الـصـفـحـات المتكلسـة لهـواياتـي السابـقـة، حتـى فاجـأنا فـنـان سريالـي بـزيـارة أشيـع أنـهـا سـتـطـول، وكـنـت قـد قـرأت عـن الـفـنـون وتـأثيـرهـا فـي نمـو الحـضارات ولأن لـبـعـض أصحـابـي نزعـة فـنيـة، فـقـد الـتـحـقـت بـركـبـهـم، ولـم أدع لأبـي هـذه الـفـرصـة ليرميني بالسفه.

كنز

حافظ عـلـيـه طـول شـبـابـه وتشبـثـت بـه كـهـلاً وعـنـدمـا تـضـعـضـعـت قـواه وصـارت خـطـواتـه أثـقـل مـن طـفـل يحـبـو أرادوا انـتـزاعـه مـنـه لـكـنـه قـذف بـه نحـو مـكـان قـصـي مـن قلبه.. أخرجوا خناجرهم ليستلوه منه في الوقت الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة.

دخان من غير نار

شـفـتـاك... خـدودك عـلـى شـفـيـر الـتـوهـج.. صـدرك نـابض يـتـسـلـق فـتـحـة الـفـسـتـان بـثـقـة عـمـيـاء.. يـسـتـقـر شامخاً، يستفز عيوني البلهاء.

ينفلت المارد من ضوضاء العتمة، يعلن العصيان.. نبضات سادرة تسبقها أنفاس.. دقائق معدودة مصطبغة بلون الصبر.. صهيل متوثب.

تخرجين وتتركين رماد الفصل الأخير وأبقى معفراً على أديم القلب.

كعكة ليست للأكل

كانت الكعكة من الكبر بحيث أنني لم أتمكن من التهام حتى ربعها. رمقتها بأسى. فكرت في استغلال ما تبقى منها.. فتحت درج المكتب واستخرجت فرشاة كان أخي قد تركها منذ يومين.. غمستها في فم الكعكة ورحت أخط بعض السطور المتناسقة فوق السبورة التي ثبتها أخي لتعليم أولاده فيها.

في تلك اللحظة فقط قهقه صديقي الذي تجاهلته تماماً، قلت له بحنق:

- أنت لم تتناول منها شيئاً حتى الآن، أنت لم تجرب طعمها بعد.

مجاناً

طموحه كان تحطيم الرقم «مليار» وحين شارف على الوصول كان أبناؤه يقودونه على كرسي ليوصلونه لمثواه ما قبل الأخير.

نكوص

ستندمين...

كان صادقاً في قولته التي كانت خلاصة تجاربه، فقد رجعت إلى منزله بعد شهر واحد من.. زواجها!

* * *

سـعـد العـتـيـق

من مواليد (1950) (السعودية). نشر عدداً من القصص في الصحف. مجموعته الأولى تحت الطبع.

قطار الخامسة والعشرين

وهو في مقعده الأخير من قاطرته، يبحث في وجوه الركاب عن لوحته المنتظرة. بين يديه ملزمة أوراق الرسم، وقلم الرصاص.

حين يجدها، يفرد أجنحته، ينطلق بأفكاره وخيالاته متجاوزاً سرعة قطار الخامسة والعشرين، ليصبح بعد دقائق، من العثور عليها، في معزلٍ عن صخب المسافرين، واحتكاك العجلات الملتهبة بمعاناة السفر، وضربات المكابس اللاهثة للوصول، وإنذارات القطار

بالصفير المدوي، للقرى الواقفة حاملة حقائبها منذ سنين على ضفتي السكة!!

في هذه الرحلة، تقطع عليه طقوس بحثه، فراشة ملونة في عمر ابنة الجيران التي ملأ بحديث رفرفتها ملزمته السابقة.. حطّت الفراشة بجناحيها تحت قدميه تعبث بعلاقة حقيبته المدسوسة كالعادة تحت المقعد، لتكون قريبة منه بأوراقها الظامئة، وأقلامها الندية.. يبتسم للفراشة فتطير ساحبة وراءها ألوان الطيف.. تخترق الممر الضيق بين المقاعد، تتجاوز وجوهاً تعرف بعضها، ووجوهاً ألصقتها الغربة بزجاج النوافذ الباردة، بين متهيئة للهروب وأخرى مارست الهرب.. عادت الفراشة لتلعب.. أمسكت بجناحيها امرأة محتجبة بالسواد، لها قمر يشف بريقه من وراء سحابة صيفية ممطرة.. بين مقعده ومقعدها، ما يمكّنه من سماع ما تقوله للفراشة:

- ما اسمك؟

- ..... وأنتِ؟

- .....

تبسَّمت الفتاة فتطايرت بتلاتٌ حمراء من شفتيها.

اقتربت من أذن الفراشة تُسرُّه إليها..

- عــرفــت اســمــكِ.. اســمــكِ، أقــول اســمــكِ.. الجُوووو...؟؟!!

قرصت الفتاة مبتسمة خدي الفراشة، ثم عادت لتمسك بجناحيها حتى لا تطير..

رفعت رأسها إليه لتلقي نظرة خجلى عابرة، ثم عادت للفراشة تسألها:

- كم عمرك؟

زمّت الفراشة شفتيها وحرّكت كتفيها..

- وأنتِ؟

رفعت الفتاة يديها، فتلألأ بياضها في ليل عباءتها.. أفردت من كل يد أصابعها الأربعة، وثنت واحداً..

- كم هذه؟

- واحد، ا ثنان، ثلاااااااااااثة، أرررررربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية: ثمانية.

- وهذه؟

بعدما أفردت بقية الأصابع..

- عشرة.

- كم عمري إذاً؟؟

- قولي أنتِ.

- ألم تتعلمي الجمع؟ ثمانية عشر.

- أنتِ كبيييييييرة!!

- بل صغيرة.. مناسبة جداً لمن هو في الخامسة والعشرين!!

همست كل فراشات القاطرة في أذنه..

سرح في كونه قرأ مرة، أن السن المناسب بين الفتى والفتاة هذان العمران.. عاد همس الفراشات يسأله: هل وجدتها؟

- اللوحة؟

- لا، الزوجة!!

- الحلوة في الروضة؟ صحيح؟

- وأنتِ؟

- أوه.. أنا باخلّص ثانوية وبعدين ادرس في الجامعة.

- الجـامـعـة؟ وأنـا مـثـلـك بـادرس فـي ا..... لـ....
جـ....||||||||||||||||معـ.............ـة.

وتفلت الفراشة جناحيها من يد الفتاة لتغيب بين المقاعد.. ويظل ممسكاً بلوحته، مزهواً بكل ما عرف عنها.. يتمنى لو أتم رسمها على حين غفلة من الفتاة، والفراشة، وجميع من في القاطرة.. تمنّى لو قبّل الفراشة على جبينها، فلولاها لما كان بعض اللوحة بين يديه.. سوف يتحلّق عليه زملاؤه في مرسم الكلية صباح الغد..

* * *

- ما أجملها.. ليتك أتممتها!!

- أين رسمتها؟!

- من الخيال، أم من الذاكرة، أم من الواقع؟؟؟

أجاب:

- من الواقع الجميل المحاصر بالأسلاك الشائكة!!

- ماذا تعني؟

- كان برفقتها رجل تحدثه بعض الأحيان.. كان بجانبها، على طرف المقعد..

- زوجها ؟ ابنها ؟ أبوها ؟ أخوها ؟ قلْ يا رجل..

- أكان كبيراً ؟.. وهي كم كان عمرها.. يبدو من اللوحة أنها صغيرة!!

- ألم يلحظ الرجل أنك كنت ترسمها ؟!!

همس إلى نفسه بصوت يسمعه الجميع، وعيناه تنظرا إلى بعيد:

- كان ينظر إليّ من خلف نظارة معتمة، وكنت أتراجع خائفاً بعد كل محاولة التقاط لمساحة ظل أو نور في ذلك الوجه الجميل.. لم أنظر إليها، ولم أستطع أن أغض بصري عنها.. كنت أقول لنفسي ربما وجدتها أخيراً، فكيف لا أنظر إليها ؟! لكنني كنت أرجّح أن يكون الرجل زوجها...!

كان يتكئ في جلسته بقبضة يده اليمني على عصا سوداء ثمينة، لابد أن تكون كذلك.. تدرون؟ خمس ساعات ولم أتبين أكان ينظر إليّ أم كان ينظر إلى العصا ؟! خيّل إليّ طوال الطريق أنه كان سيفلق جبهتي

بعصاه تلك إلى فلقتين.. لا أظنه كان سيفكّر في ثمن العصا، فالمسألة مسألة شرف.. تدرون؟ لو كنت مكانه لفعلت ما حسبته سيفعل بي..

- ها ها ها ها.. وبعد ذلك؟؟

- ليتني نظرت إليها بما يكفي.. فقد تكون هي، هي.. صدقوني لم أتمكن من النظر إليها ملياً.. كان في مواجهتي مباشرة طوال الطريق، وعيناه حائرتان فيّ..

- والفراشة التي تحدثت عنها؟

- لم تعد ترفرف بعدما أمسكت الفتاة بيد الرجل، وأغلقت الملزمة، والقطار يحبو للمحطة مجهداً بعد سفر طويل.. تصدّقون؟ لم تزل أصابعي ترتعش!!

* * *

صالح بن عبدالعزيز العديلي

(السعودية). أصدر رواية، نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.

أنا لن أنام هناك

الباب مِنْ هنا ؟

نعم!!

قفزت من مقلتيه دمعة.. اتجهت مسرعة نحو صدغه الأيسر، يا ابني هؤلاء رفضوا طلبي.. ركلوني بأقدامهم لم يرحموا شيخوختي.

صابر بن يحيى، أنا، قالها. ابتسامة أسى اعتلت شفتيه، قطرات من العرق أخذت طريقها إلى ذقنه.

الشمس تعلن بقاءها فوق رأسه، ولمدة طويلة..

هـل هـناك شـيء أحـتـمـي بـظـلـه مـن هـذه الـشـمـس المحرقة؟

هل يعره أحد انتباهه..

«مسكين هذا الشيخ» قالها أحد الجالسين بجوار النافذة التي يطل منها حارس المبنى». إن من يريد أن ينال شرف الاستجابة، لابد أن يتلقد كل تاريخه الطويل..

أريد أن أدخل..

تفضل..!

قال صابر بسخرية:

الغترة الحمراء والعقال الأسود المدور «آه يا هو مملوح».

كم ساعة لنا هنا؟ استدار شاب رث الثياب، أجاب:

ثلاث..

صابر بن يحيى شيخ طاعن في السن.. يجر وراءه ثمانين عاماً، أنفق أواخرها في الجهاد أمام مكاتب

الموظفين، استبدل قهوته الصباحية بفرز الأوراق المخصصة لكل مصلحة حكومية..

واستطرد ابنه الذي لا يقل عنه هيئة، بأنه كثيراً ما تورط في ورقة تسديد ظناً منه أنها ورقة صرف.

ويضيف بأنه دائماً - وبرفقته - يخرج بعد أن يصلي الفجر ممتطياً الطريق الصحراوي صوب المدينة.

«الإلحاح» هو الطريق الوحيد للوصول إلي الهدف، مسلَّمة آمن بها صابر منذ أن أدرك سهولة تجاوز القوانين، ومنذ أن أدرك أن «لا» عما قليل ستصبح «نعم» ثم أن جهامة الصحراء، وقسوة الطبيعة رسمت على حاجبيه كل معنى للصبر، ومنحته قدرة عظيمة على الوقوف في وجه المصاعب، فهو لا يبالي - أحياناً - في شتم مسؤول، أو السخرية من موظف عادي، أو الوقوف أمام مصلحة لمدة طويلة.

في داخل المكتب، وعلى طاولة خشبية، أراد صابر أن يختبر ذاكرته، حدق في وجه أحد الموظفين الذي انتصب على مقعد متواضع.

أنت فلان بن فلان؟

لا ، ولكن أنوب عنه.

زم شفتيـه، وأجال نـظره فـي الجالسين، وقـال بصوت حاد:

لا ، أنا أريد فلاناً..

يا عمي.. إنه لم يأت بعد، ماذا تريد منه؟

استدار إلي الوراء، وأخذ يتمتم.. لا أريد شيئاً.. لا أريد.. شيئاً.. استرخى على الكرسي المقابل، جلب من ذاكرته ذلك الحادث الأليم الذي راح له ضحية زوجته وطفلاه..

ردد أحد المراجعين بصوت خافت:

لا يدرك الشيء في الدنيا بلا تعب..

نعم.. نعم.. وفي الآخرة أيضاً، قالها وابتسامة حزينة تفرد شفتيه، نعم.. لا يدرك الشيء.. في الدنيا.. بلا تعب.. بلا تعب..

«صح لسانك يا خوي».

هذا الموظف سيعدني بعد شهرين، لكني سأخرج في

الحال، لآتي في الغد، نهض بتثاقل، سحب أنفاسه بقوة...

احتضان الليل لقرية صابر الصحراوية لا يبقيه لحظة واحدة خارجها فهو لا يتخلى عن الاستمتاع باجترار ذكريات طفولته وشبابه كل ليلة مع من قال إنهم ذهبوا.

- إلى أين؟

منهم من واريته بيدي هاتين، ومنهم من هجر القرية منذ زمن بعيد.. ولم تردني أخباره..

وعندما يريد أن يحصل على متعة أكثر من الحديث، فإنه لايفتأ يذكر زوجته.. التي يعيرها من أواخر حياته جل وقته في الحديث عن مناقبها، ومعاملتها له، ولأولاده، لكنه لا يملك إلا أن يرسل دمعة اتضح لطريقها خط ارتسم بشكل متعرج حتى مؤخرة ذقنه.

الشمس تجري مسرعة نحو الغروب والنهار لايزال يحزم حقائبه للهروب من وجه الليل.. يرفل صابر بسيارة صغيرة «وانيت» إلى جانب ابنه - الذي لا يجيد غير قيادة السيارة - متجهة نحو الطريق الصحراوي..

شيء من الانتعاش يسيطر على حركاته داخل

السيارة، قهقه بصوت عال.. نعم.. لقد رفضوا طلبي.. ركلوني بأقدامهم.. يا ابني.. لم يرحموا شيخوختي..

* * *

ميـــرزا زهـــيـــر

من مــوالــيـد (1953) (البحرين). مسرحي. نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات،

جامع العلب الفارغة

الساعة الواحدة ظهراً، رجل حافي القدمين، رث الثياب، الشقوق الواضحة على وجهه تدل على أنه في الخمسين من عمره. غير أنه خفيف الحركة، يجري بسرعة، يلهث من آثار التعب. ينتقل من قمامة إلى قمامة، باحثاً عن العلب الفارغة، وهو يحمل في يده كيساً كبيراً يضع فيه العلب. اندفع بسرعة كالأسد المنقض على فريسته. كاد أن يصطدم بحشد من المصلين، الذين خرجوا من المسجد بعد انتهاء صلاة الجمعة. لم يسلم على أحد منهم. كانت عينه ترصد تلك العلبة

الفارغة، التي شربها أحدهم ورمى بها إلى القمامة. أسرع والتقطها قبل أن يلتقطها غيره. كان يدرك أنه ليس الوحيد، الذي يجمع تلك العلب. مرت بجانبه إحدى السيارات الفخمة، كان يقودها أحد الآسيويين. رمى السائق علبة فارغة بعد أن شرب محتواها. كادت العلبة أن تقع على وجهه، لكنه التقطها بسرعة كالعصفورة التي تلتقط الحب. أطال النظر في السيارة حتى اختفت عن الأنظار، ثم قال في نفسه: «آه لو كنت مكانه أسوق تلك السيارة الفخمة!».

اشتدت حرارة الشمس وأخذ العرق يتصبب منه وهو يجمع تلك العلب، رأى ظل شجرة من بعيد، أسرع وجلس يتظلل فيء تلك الشجرة، أشعل سيجارته التي حصل عليها في أحدى القمامات أغمض عينيه قليلاً، سرح بأفكاره، تذكر زمانه الماضي عندما كان يعمل في الميناء. كان في عنفوان شبابه، مفتول العضلات، قوي البدن، اشتهر في القرية بقوته، وعدد اللغات التي يعرفها. اكتسب تلك اللغات من خلال عمله في السوق. لم يعرف كتابة اسمه، لكنه يجيد التحدث بتلك اللغات. تذكر تلك البنايات الشاهقة، الملاهي الليلية وقاعاتها

الكبيرة المملوءة بالحضور، الموسيقى الصاخبة، التي تصاحبها أحلى الفرق والأنغام.

(آه لو كنت أعمل هناك، لاستطعت أن أسرق تلك العلب الفارغة كما يسرقها غيري ويبيعها في السوق، لقد ارتفع سعر المعدن هذه الأيام. أصبح الكيلو ضعف السعر السابق كما سمعت).

صحا من غفوته على صوت سيارة دهس سائقها العجلات بسرعة، وأحدثت صوتاً، أفزعته من غفوته، تحسس الكيس فوجده في يده. لابد من مواصلة العمل حتى المساء. واصل عمله في البحث في تلك القمامات عن العلب الفارغة، وهو ينتقل من مكان إلى مكان. في المساء عاد إلى منزله، استقبلته زوجته التي كانت جالسة بجانب ابنتها المريضة. آلمه ذلك المنظر، استطرد محدثاً نفسه، كنت أعرف أنها مريضة، ولكن ماذا أفعل؟

وضع يده على جبهة ابنته، رأى الحرارة قد اشتدت بها، أسرع وحملها وذهب ينتظر الباص في المحطة. لقد تأخر الباص كثيراً، أخذ يسخر من تلك العلب، ويسخر ممن صنعها، والتجار الذين يبيعونها ويشترونها. ماذا لو

حدث شيء لابنتي؟ من سينقذها؟ عاد إلى المنزل في ساعة متأخرة من اليوم الثاني قبيل الفجر بساعات، تسرب شعاع من نور ليبدد ذلك الظلام. استيقظ مبكراً، وأخذ الكيس متوجهاً إلى تلك القمامات؛ للبحث عن العلب الفارغة. لابد أن أسرع لألتقط تلك العلب قبل أن يلتقطها الصبية الصغار. سوف أسبقهم، اندفع بسرعة البرق ينتقل من مكان إلى مكان. كان التعب واضحاً عليه، فلم ينم كثيراً ليلة البارحة.

كان الجو أشد حرارة من اليوم الذي سبقه. عند فترة الظهيرة كانت الشمس محرقة. لم يستطع أن يتحمل تلك الحرارة. كان يلهث من التعب، وهو حافي القدمين. مد يده ليتناول تلك العلبة، إلا أنه أحس بثقل في يده، وكأن وخز إبر ينساب من رجله إلى جسمه. أراد أن يحرك يده فلم يستطع. أخذ يتمايل، ثم وقع على تلك القمامة. كانت زوجته وأبناؤه في انتظاره، إلا أنه لم يعد ذلك المساء. لم يشعر أحد بموته إلا عمال البلدية، ثم شاع خبر موته في القرية.

* * *

فـــاضـــل
عـــمـــران

مـــن مـــوالـــيـــد (1975) (الـسعـوديـة). نـشر عـدداً مـن القصص في الصحافة العربية.

كف الجسر

إنه هنا بجانب بوابة الجسر العميق، حيث المركبات الملونة تمطر فوهة الجسر، ينسل من رافعته العتيدة.. يرسل نصف جسده العلوي للداخل ويبسط ذراعه ليلتقط كيس الخيش الذي اعتاد أن يضعه فوق رأسه تلافياً للهيب الشمس.. يصفق الباب، وعلى بعد خطوتين.. حيث الإطار الملوح.. يسند ظهره مفترشاً نعليه الجافين ويطرق ساكناً فيبدو للعابرين ككائن خرافي يطل من خيمة صغيرة.

الشمس هنا لا ترحم، تحكم أشعتها بشدة حول كل شيء.. فتتفجر الأجساد ينابيع ناضحة، تبحلق في الوجوه بأقصى أشعتها محيلة الثياب اليابسة إلى شلالات مالحة، والسحنات الطرية إلى سحب رمادية تكشف تضاريسها بشكل ملفت.. أبو ليلى تحدى كل ذلك، شوته الشمس حتى استوى العظم.. نزف جسده حتى تخشب، وتفتقت الدمامل في مؤخرته التي ما عادت موجودة أصلاً بل خلفت دائرة عتيقة طفحت فوق ثوبه.

«أيا ليلى.. أحدهم يحتاج لنجدة..».

صاح حارس البوابة فور إغلاقه لسماعة الهاتف.

انتصب الشبح الرابض سريعاً.. أدار العجلات.. وغاص في بطن الجسر ليقف عند سيارة فغرت غطائها الأمامي وبجانبها وجوه يابسة تنتظر الفرج.. لحظات وعاد لبوابة الجسر حيث كان وكما كان تماماً سوى بضع لطخات حديثة متناثرة على ملابسه، وانتفاخ طفيف في جيب بنطاله الأيمن.

قد يحدث هذا المشهد مرة في اليوم، وربما يتكرر

مراراً حتى لا يكاد يملك وقتاً ليتسريح فيه، أو قد لا يحدث أبداً لعدة أيام، وأحياناً يحدث بمجرد أن يرفع أبو ليلى يديه نحو السماء وصورة «ليلى» بنت الخامسة عشرة تتجسد أمامه.. كل ذلك مرهون بما يجري فوق صهوة الجسر الكبير.

* * *

إنها وحيدة أبويها ديدنها ذرع الطريق المؤدية للمدرسة الحكومية خمسة أيام في الأسبوع، يتعفف فضولها من النظر خارج هذا الخط، بشعور أو بلا شعور هي تطبق مقولة يكررها والدها «من يتمعن في الأدنى يسقط على وجهه.. ومن يحملق في الأعلى تنكسر رقبته»، ليلى لا تنظر سوى لنفسها.. لا تشعر إلا بسلوك «ليلى» ولا ترى سوى فستانها وحذائها وقصة شعرها ولا تعلم إن كانت نبيلة زرقاء الدم، أو تصنف ضمن طبقة «الرق».

قدر لها أن تجهل العديد من الأمور مثل الفقر والجوع والحرمان واليتم وكذلك الثراء والبذخ والموضة والتخمة والشهرة.

يحدث أن يتمزق فستانها المدرسي في الوقت الذي ينسلخ إطار سيارة عابرة للجسر، وأن تحتاج لحذاء جديد فيجمح مقود باتجاه سور الجسر ليعلق به، وكم من حادث شنيع وقع أثناء نيتها الإقدام على قرار حاسم يكلف مالاً.. وتنهمك وسط دوامة الحياة في حين تولول الشمس على جسد والدها المقيم عند بوابة الجسر.

«.. هذا المشروع ضروري لاجتياز المادة في نهاية السنة».

رددت المعلمة وهي تخط الأروقة في الفصل برتابة آلية، وأضافت:

«على كل طالبة أن تحضر مواداً وأدوات كافية وتبذل ما في وسعها لظهور مشروعها بأكمل صورة، أما التهاون فليس له مكان في فصلي».

لم تعتد ليلى على أنشطة بهذا الحجم، ولم يسبق لها أن خاضت مشروعاً مدرسياً بهذه الكلفة، كان حديث المعلمة يشق آذانها بشراسة، وتتصاعد من رأسها العديد من علامات الاستفهام.

خرجت من المدرسة وقد عشعشت المحاضرة في

صدرها ككابوس ثقيل لازمها طوال الطريق.. فتحت باب منزلها.

رن الهاتف.. رفعه حارس البوابة:

«أبا ليلى.. أحدهم يحتاج لنجدة..».

* * *

نـورة بـنـت سـعـد الأحـمـري

(السعودية). صدر لها مجموعة انعتاق (2003).

الحقيبة

حين عودتي بصحبة والدي من الخباز، رأيت محلا جديدا به حقائب مدرسية. كنت أتوق إلي حقيبة جديدة، بعد ثلاث سنوات من استخدام حقيبتي التي أحملها. لقد بان عليها القدم ووضحت ألوان الخياطة. كلما اهترأ جانب منها، قامت والدتي بخياطته، حتى لا أحظى بأخرى جديدة. لفتّ انتباه والدي إلى المحل حتى ندخل إليه. كدت أطير من الفرح حين دخلنا المحل، أملاً أن أحظى بواحدة جديدة أياً كان شكلها. المهم أن أعتق أذني

من تعليقات زميلاتي في المدرسة، فهن دوماً يعيرنني بأني فقيرة جداً.

أخذت أقلب ناظري بين الحقائب ذات الألوان المختلفة، وأبي مستغرق في الكلام مع صاحب المحل في حديث عابر.. كم كلف المحل؟ وهل هناك زبائن؟... وقع اختياري على إحدى الحقائب ذات اللون الكحلي، المزينة بالعلم الأمريكي على الأطراف. أخبرت أبي أني أريدها. نظر إليها، وكأنه يقول لن أشتريها، ولكن سأستفسر عن قيمتها.

لقد فهمت ذلك من تلك النظرة التي لا أجهلها أبداً، فقد باتت حدتها تحرق حقول الأحرف على لساني فتصبح كلماتي رماداً داخل جوفي فابتلع الصمت. تناولها وأخذ يقلبها، والسواك بين أسنانه، ثم سأل صاحب المحل عن ثمنها. أتت الكلمات على أذني كالصاعقة عندما قال بـ 18 ريالا فقط. نظر أبي إليه وقد احمرّت أذناي من الخوف. شعر البائع بارتعاش جسدي الصغير واستشعر فداحة المبلغ في تصور أبي، عندما أعادها إلى مكانها وقال بحدة: «دعها هنا حتى يأتي العيد».

ضحك البائع وقال: «إنها جميلة يا سيدي، ومن

أجل هذه الصغيرة سأبيعها لك بـ 15 ريالاً». زاد أبي إصراراً على جموده وتعنته في رفض الشراء، وازددت حسرة وألماً على ضياع أمنيتي الصغيرة. خرج أبي وهو ممسك بيدي وكأنه يجر خيطاً رفيعاً به من الأمنيات القليلة، فيقطع الخيط ولا أحد يشعر به سوى من كان يحمل هذا الخيط. سرت مطرقة الرأس، أنظر إلى سواد الطريق الذي أسير عليه، وأتساءل كيف يحظى هذا الطريق الأسود بالعناية من الكثيرين، وهو جماد لا يقدّر ما يفعل به أو من أجله، وأنا الإنسان لا أنال شيئاً حتى أقدم الشكر!

تداخلت حلقات سوداء أمام عيني، واتصلت ببعضها لتكون تحت قدمي أرضاً صلبه قاسية أسير عليها، فغدوت أضرب الأرض والسواد بخطى سريعة. وصلنا إلى المنزل، وأبي يحمل الخبز الحار كحرارة قلبي. ناوله أمي لتفرغ من إحضار الطعام، وأنا أنزوي في ركن تلك الحجرة أتجرع الأسى. شعرت بالحسرة تذيب فتات السعادة إن وجدت، غدوت أتلوى من العذاب، فقررت الانتقام من أبي.

أثناء تناوله للطعام مع والدتي، تسللت إلى الحجرة

المجاورة، التي يضع فيها ملابسه وما تحوي من أشياء. أقلب وأفتش، وأخيراً وجدت ما أريد، محفظة المال، فتحتها بيد مرتعشة وأنا أتصبب عرقاً. شعرت بخوف عارم يهجم علي دون سابق إنذار. أتراجع، أعيد المال، تقفز إلي أذني كلمات زميلاتي «سعاد مسكينة فقيرة، أعطوها بعض النقود لتأكل» تتردد في أذني «هاك خذي». تندفع يدي بقوة إلي المحفظة وأخطف 10 ريالات، وأعود أدراجي، وقد عقدت العزم على شراء الحقيبة.

لم أعرف النوم تلك الليلة. لم أجسر أن أغمض أجفاني، فقد اختلط الخوف والانتقام، فأوقعاني في صراع مرير. كنت أتساءل هل ستقطع يدي؟ غدوت أتصور مشهد يدي مقطوعة فأتحسسها من هلعي. أحاول أن أبدد ذلك الاستفهام بالنفي؛ لأقنع ذاتي أنها من حقي، وأني لن أعبث بها، بل سأنفقها فيما أنا بحاجة ماسة إليه. أظل أتقلب على فراشي حتى الصباح دون أن أنام. تأتي والدتي لإيقاظي:

- سعاد، هيا انهضي، قومي للصلاة. لقد طلعت الشمس.

كنا نعتمد في صلاة الفجر على النور وشروق الشمس، حيث لم يكن لدينا ساعة ندرك بها الوقت. أبعدت الغطاء، وأنا مثقلة بالهم. توجهت إلى دورة المياه وأنا أتساءل «هل سيقبل الله صلاتي وأنا مجرمة أعتدي على الغير بالسلب؟» ظللت في صراع كبير لا يعلمه إلا الله. كنت أشعر بثقل ذلك النهار بين الطالبات وتلك الدروس وأنا جامدة كأحد الكراسي، لا أبدي حراكاً. لم أكن متجاوبة مع محيط المدرسة ذلك اليوم. كنت أشعر برغبة في الصراخ المتواصل. انغمست في تفكيري حتى حانت لحظة الخروج، ويالها من لحظة للحسم والانتقام من أبي. ها هو يمثل أمامي بتقاسيمه الصارمة ونظرته المرعبة وسواكه الذي غدا علامة مميزة له. أسير فأشعر أن الطريق يطول بي، ولا يحمل معي همي، فأضطر إلى حمله وحدي.

أصل إلى محل الحقائب. أقف بالخارج أنظر إليه بفرحة ممزوجة بهلع. يراني البائع، فينادي:

- تقدمي. ماذا بك؟ هل عدل أبوك عن قراره؟ وكأنه يدفعني إلى الشراء والإصرار على المضي قدماً إلى ما جئت من أجله.

- نعم. لقد حضرت من أجل اختيار واحدة، ولكن أرخص قليلاً.

- وكم معك؟

- 10 ريالات.

- لا بأس. لدي ما تريدين. تقدمي واختاري ما تشائين.

أتقدم وأقلب نظري فأحتار، يلمس البائع حيرتي فيساعدني على الاختيار.

- ما رأيك بهذه؟ هي نفس الحقيبة التي رأيت مع والدك، لكنها أصغر حجماً.

- أعطني إياها.

أخرج وأنا فرحة جداً. فجأة أجد أبي أمامي، وقد كشف مخططي الإجرامي. يخطف الحقيبة ويلقي بها على صاحب المحل ويصرخ به: «أين النقود»؟

يقف البائع مندهشاً من ردة الفعل، وكأنه يقول «قد يكون زوج والدتها»!

* * *

جعفر العيد

من مواليد (1961) (السعودية). نشر عدداً من القصص في الصحف.

قصص قصيرة جداً

دمعة

توفرين غذاء العصافير، تلوحين بقرص الخبز للدجاج، وتنشدين الجوعى في حديقة الحيوان.

وعندما تأوين إلى الكوخ لا أحد يمسح الدمع من عينيك ولا أحد يدفئ الساقين المتعبتين ذلك ليكون العناء شديداً والثوب أجزل.

أخوّة

جميلة، الساقان مملوءان، الطول فاره والبشرة وردية ناعمة الملمس، صوتك أنعم من الكمان، القامة مستوية والأنف طويل والنظرة كلها شموخ.

لا يستوي كل هذا الجمال ومسحة الحزن التي تبديها، قالت:

- لا طعم للحياة من دون البحر.

حكيم

في الشارع، بدا لي الرجل مشغولاً بأمر ما قال لي:

- تعرف ما حدث لي بالأمس؟

- لا.

- الحق انقلب إلى باطل، والباطل إلى حق، (وأردف) لقد قامت القيامة وأنت نائم.

لم أجد عندي ما أجيبه فبادرني:

- إلى متى تظل سادراً في هذه الحياة (وغاب بسرعة).

ثلة من الحـرس تمر مـن أمامـي.. هل رأيـت المجنـون الذي نفتش عنه، قلت رأيت حكيماً مر قبل لحظة.

* * *

جـــمـــال
جـــبـــران

من مواليد عام 1975 (اليمن). يعد لإصدار مجموعته الأولى.

ليالي هلال الحزينة

كل أصابع الفرح كانت تشير باتجاه هلال في تلك اللحظة التي كان خيال جسده الجميل يظهر عند تقاطع شارعنا الموحش ويقترب ذلك الجسد قليلاً قليلاً قليلاً حتى يكتمل وضوحه لنا..

كان يمشي بهدوء غريب وكأنه يخشى أن يخمش سطح الأرض بقدميه فيغير معالمه..

ولهلال حقيبة جلدية متوسطة الحجم تنتشر على

سطحها عدة ثقوب وبعض النتوءات وكانت تلازمه في ترحاله. وتمتلئ تلك الحقيبة عادة بأوراق وبمذكرات ظل هلال يكتبها على امتداد سنوات إقامته على تلك المساحة من الأرض، ونحن لا نعرف منذ متى يسكن هلال معنا فنحن نشعر بأنه يسكن معنا منذ زمن بعيد.. يبتعد عنا أحياناً ولكنه دائماً ما يعود.

وعندما كان يعود من مدينته الحالمة كنا نلحظ عليه وقد تغير شكله واكتسى حلة صافية من بهاء ونور ونتساءل فيما بيننا ما الذي تفعل به تلك الحالمة حتى يعود إلينا منها وهو بهذه الهيئة.. وكان ما يلبث أن يمر أسبوع وتتعاقب عليه ليالي صنعاء الباردة حتى يتآكل جسده ويعود نحيلاً بلا هوية وبلا ملامح كأن الشوق كان يأكله إلى مكان ما.. إلى كائن ما.. إلى قلب ما.. لا ندري عن كل ذلك شيئاً!!

وبعودة هلال يتغير كل شيء، ويعود للأشياء شكلها الطبيعي، وتبدو أجمل مما كانت عليه، تُسقط السماء رذاذاً ناعماً يغسل المباني والطرقات ويجعلها لائقة كي تستقبل هلال عند وصوله حيث كنا نخرج في حشد كبير كي نستقبله حاملين لافتات قماشية كتبنا عليها..

«أهلاً.. أطيب قلب في العالم..».. «هلال أحسن واحد..».. «كلنا هلال».

وتعزف فرقة الحي الموسيقية معزوفات الحب لقائد الحب..

وهلال يسكن في ركن حزين بغرفة بائسة بداخل رواق طويل يضم مجموعة من الغرف يسكنه عدد لانهائي من الطلبة والمهاجرين والعمال.. وحالما كان يستقر في ركنه الحزين كنا نتجمع حوله نقضي الليل كله في بعثرة الكلام في كل اتجاه.. يطول الليل بنا على صوت فيروز ليذهب كل منا في اتجاه ويظل هو وحيداً في ركنه الحزين..

كان دائم الحزن وكأنه قد أبرم معاهدة أبدية معه ولا تسمح له تلك المعاهدة بأن يقتني الفرح حتى وإن وجده ملقياً عند الباعة المتجولين المتناثرين في أنحاء هذه المدينة أو كأنه كان يعتقد بأن الفرح مصيبة عظمى لا يمكن أن يرتكبها.

وعندما كان الفرح يقوم بجولته الصباحية المعتادة في شوارع حارتنا كان البائسون من سكان الحارة والرواق والمباني المجاورة يخرجون جميعهم لمصافحته واحداً

واحداً، إلا هلالاً.. كان في نفس تلك اللحظات يسارع إلى إغلاق باب غرفته ويتأكد بأنه أغلق النوافذ بشكل جيد بحيث لا يسمح للفرح أن يتسلل من خلالها وبعدها يهرب إلى فراشه ملقياً على جسده كمية كبيرة من الأغطية وكأنه يستحق آخر أمل أو احتمال ضئيل في أن يرى وجه الفرح.. ولكن بعد أن يتأكد من أن الفرح قد غادر المكان وبأن الجيران قد عادوا لغرفهم ومنازلهم كان يسارع لفتح نوافذ غرفته ثم يهمس لأحد المارة والعائدين من مظاهرة مصافحة الفرح ويسأله كيف كان شكل الفرح هذا الصباح!!

كان يغرق في صمته بشكل دائم، ولا يبوح لكائن ما بما يختلج ويدور في صدره.. كنا نعلم بأنه يبكي مثلنا لكنا لم ننجح وحتى الآن في أن نمسك به وهو يرتكب جريمة البكاء. هكذا اعتدنا على تسمية البكاء جريمة.. فعندما كنا صغاراً علمونا، بأن البكاء عيب كبير وبأنه ليس من صفات الرجال فصدقنا تلك الأكذوبة الكبيرة) وحتى اللحظة وأنا لازلت أسأل والدي ما العلاقة بين العيب والبكاء ولكنه لا ينطق بإجابة..

ولهلال عادة قديمة يمارس فيها الكتابة بصمت

عجيب. ويبدو وهو يكتب كلماته كأنه يمارس صلاة من نوع خاص.. ولا أحد يعرف ماذا يكتب أو لمن يكتب، فقد كان لا يسمح لأحد منا أن يقترب من أوراقه.. كان يكتب بدافع مجهول لا يعرفه، أو كرغبة جامحة في الصراخ كمحاولة يائسة لكسر حالة الحزن الشديدة التي تحلق عليه دائماً.. أو كمحاولة بكاء صامتة على شيء ما كان يتسرب من بين أصابعه. المهم أنه كان يكتب بشكل دائم ومنتظم وكأنه كان يتحاشى عقاباً سماوياً سيقع عليه إن هو توقف عن الكتابة..

لم يكن هناك أحد من سكان هذه الأرض لا يحب هلال.. كل الأشياء كانت على علاقة حميمة معه.. وعندما كانت الهموم تعصف بنا كنا نتسلل إلى غرفته.. نطرق الباب فيفتحه لنا ويستقبلنا بقبلته المعتادة وتضيق الغرفة بكل ذلك العدد فنضطر أن نخرج ونشكل طابوراً منظماً وندخل إليه واحداً بعد الآخر كي نشكو إليه همومنا بينما ينتظر الباقون أدوارهم في الخارج..

يتحدث إليه أول الداخلين ويبدأ باكياً.. لقد أخبرتك يا هلال لكنك طيب القلب لم تصدقني عندما أخبرتك بأنها لا تحبني وبأنها تعرف آخرين غيري.. لقد كانت

تتسلى بي وبمشاعري وأنا صدقتها.. وها هي الآن ترمي بي كحذاء قديم مستهلك. وينهي كلامه وخرج ليدخل الذي عليه الدور.. ويبدأ حديثه:

«يا هلال... يا صديقي.. غداً ينتهي الشهر وصاحب الغرفة ينتظرني كي أدفع له إيجار الشهر وإيجار الشهر الماضي ويبدو بأن والدي قد نسي بأن له ابناً ترك قريته وجاء ليكمل دراسته.. ماذا أعمل؟! ساعدني يا صديقي!! ويخرج ليدخل آخر...

■ لم أكن أعلم يا هلال بأن الأمور ستتطور إلى هذه الدرجة.. تصور بأني أصبحت أحبها.. كم سيضحك عليّ أصدقائي عندما يعرفون بأني أصبحت أحب معلمتي، لكن الخطأ ليس خطئي.. لماذا يأتون بفتاة أجنبية جميلة بل خارقة الجمال كي تقوم بتدريسنا.. ليس الذنب ذنبي إذاً.. هل أنت معي!!

ويتبعه زائر آخر....

■ هلالي الحزين، لقد ضاق الحال بي لم أعد أدري ما يجب علي فعله، أولادي في القرية بدون مصاريف وأمهم تهددني بالطلاق وهنا لم يعد الحصول على العمل بتلك

السهولة التي كانت تتم في الماضي.. وفي القرية لا يقدرون ذلك كل الذي يهمهم هو المال.. لا يهم من أين يأتي.. المهم أن يأتي لهم.. صدقني يا عزيزي لقد فكرت في الموت عدة مرات (استغفر الله..) ويخرج..

ويدخل بعده آخر الزائرين...

■ أيها الهلال.. سأحكي لك حكايتي ومشكلتي وهمي الكبير.. أربع سنوات وأنا أدرس في الجامعة وأنت تعرف ذلك، وخلال هذه الفترة لم استطع فيها التحدث مع فتاة بشكل طبيعي.. ما إن تأتي فتاة لتحادثني حتى يركبني الارتباك وأصاب بالتلعثم ويبللني العرق وبعدها أطلق ساقي للرياح. وهذه هي السنة الأخير وإذا ما انتهت دون أن أتخلص من عقدتي فسوف ينتهي عمري دون أن أستطيع محادثة أية فتاة.. ساعدني أرجوك.. ويخرج وبخروجه يعود للغرفة هدوؤها ويستعيد هلال حزنه ويبدأ في ترتيب أوراقه..

ويدير شريطاً لفيروز ومعها يسافر بعيداً بعيداً نحو ليالي مدينته الحالمة..

ويبدأ في البكاء..

أغسطس 1997م

أيمن عبدالحق

من مواليد عام 1972 (السعودية) يعد لإصدار مجموعته القصصية الأولى.

طابورُ الصَّباح

في فناء المنزل الصغير، وفي كل يوم مثل هذا الوقت تجلس، تفكر، تُنقل بصرها بين الرديمة وشجرة الجوافة وبين الألعاب الملقاة على الأرض. الكل في هذا البيت يذهب حيث يشاء إلا هي. لكنها تذهب إلى مكان لا يصل إليه أحد وتهيم أكثر مما يهيم غيرها، لكن في مساحة لا تتجاوز ظل شجرة الجوافة. تسافر بها الأفكار إلى يوم لن تنساه، كان ذلك قبل خمس سنوات وهي في

العاشرة من عمرها. لقد أحست بكل جبال الدنيا تتراكم عليها، وذلك المرض يفترسها بكل ضراوة وبأس. لم تتذكر في ذلك اليوم إلا أنامل أختها الكبرى وهي تدثرها بشرشف مهترئ... وذلك الشجار:

- أنتِ السبب، إهمالك هو الذي أوصلها لهذا..

- أنا أَم أنت من كان يسوف؟! هل نسيت، لقد شغلتك البليلة والبطاطا عن أهم شيء في حياتك.

- إنها لقمة العيش، والأطفال يتجمعون في الحارة في هذا الوقت..

تذكرت ذلك وهي الآن تجلس وقت العصر، الوقت الذي يخرج فيه أبوها لبيع البليلة و«الحَصَمْ» على أطفال الحارة عند باب المستوصف..

- «سلمى، قومي يا بنتي ذاكري دروسك».

بعد خمس دقائق، كانت تجلس على الأرض تفترش الكتب والدفاتر وقدماها تمتدان كخصلتي شعرها بعفوية وبلا نظام..

وفي الصباح تكون هي الأنشط. تستيقظ قبلهم وتتجهَّز للذهاب إلى المدرسة قبلهم، لكنهم يذهبون

قبلها. واحد فقط من إخوتها يذهب في نفس وقتها. تنتظره بالخارج...

- (عبده) هيا بسرعة، تأخرت على الطابور..

إنها تعلم تماماً ماذا يعني لها الطابور، لكنها تصر على حضوره.

منذ ذلك اليوم المشؤوم وهي الوحيدة التي تجلس في طابور الصباح بأدب واحترام. تراقب (حنان) ذات الكعب العالي والمريول المحزَّق و(أريج) وهي تمزح مع إحدى الطالبات وسط صيحات المدرِّسة الذي يأتي من خلال الميكروفون:

- (حنان) و(أريج) ابقيا مكانكما بعد الانتهاء من الطابور.. كل ذلك يحدث يومياً مع تغيير في أسماء الطالبات.

- (عبده) لقد تأخرنا، عليَّ أن أقرأ حكمة اليوم.

دائماً يتأخر (عبده) ويتركها تتأمل جارها الذي يدرس في الثانوية القريبة من الحارة، تتأمله بإعجاب وهو يراقب تلك الهيفاء التي تمر يومياً في موعد خروجها. كل يوم ينتظرها ذلك الشاب الوسيم ويُمَتِّعْ

بصره بقامتها المشوقة ومشيتها الأنيقة. هي تنظر إليه وهو ينظر إليها.. إلى تلك الهيفاء..

«آه ماذا سيعجبه فيَّ وأنا الـ...

كل الثمار عندما تنضج ستجد من يقطفها إلا أنا».

- يا الله يا (سلمى).. أوف يقولها متضجراً.

لقد حَفظَت هذا الطريق، حفظته بأحجاره وأشجاره ومساحات السبخ التي ترتمي على جانبيه. كل شيء على مايرام إلا شيئان.. المطبات والغبار المتطاير من كفرات السيارات.. يسرع بها أخوها إلى بوابة المدرسة ويسلمها للخالة (مكّية) ويتركها تذوب في غابة من العباءات السوداء.. ويذهب.

«أما الآن فمع حكمة الصباح والطالبة (سلمى).. تتقدم إلى منصة الإذاعة وهي تدفع عجلتي مقعدها إلى الأمام وتمسك الميكروفون: «لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس»...

1419/7/21هـ

* * *

أمين علي آل سماح

من مواليد 1977 (السعودية). ينشر قصصه في الصحف والمجلات.

ياسمين

نهضت من نومها مفزوعة، أسرع والدها إليها، هدأ من روعها، أخذ يتلو عليها المعوذتين. حدثت أباها عن رؤيتها. فقالت:

- أبي رأيت في المنام كابوساً: كأني أسيرُ في طريقٍ على جانبيه شمعتان مضيئتان، فجأة لمحتك تلوح بيدك لي وبعدها اختفيت. ثم كأني مع إحدى صديقاتي. تمسك حبلاً هي من جهة وأنا من جهة أخرى. أحسست أن الحبل

سينقطع أردت أن أخبرها بانقطاع الحبل. لكن تفاجأت بانطفاء الشمعتين. فجلست من نومي مفزوعة.

أخذ يرتل عليها آيات من القرآن ثم قال لها: إنها أضغاث أحلام. أمسكت بيد أبيها وقالت: والدي. ابق معي فأنا خائفة.

أخذ يقص عليها بعض القصص حتى استسلمت للنوم. قبل أن يتركها قبّل جبينها ورحل.

وفي الصباح جلست من نومها ارتدت ملابسها وأعدت أدواتها المدرسية ثم توجهت لمدرستها.

ياسمين طفلة في السنة العاشرة من عمرها تسكن في حي (الناصرية) في خلدها آمال تسعى لتحقيقها. يدها سخرتها للرسم. ترسم الطبيعة لكن أي طبيعة تلك التي ترسمها؟ إنها الطبيعة الحية الخلابة، فهي تختزن ما تبصره من صور حية قد التقطتها عيونها. مضمونها معاناة الطفل العربي ومأساته في جميع بقاع العالم، تمزج هذه الصور بخيالها الخصب فتنساب من ريشتها لوحات إبداعية، فكأنها تقوم بتحميض فيلم قد التقطته بكاميرا عجيبة.

في هذا اليوم لم يعلم أحد أن الحرب دقت ناقوس

الخطر وكشرت عن أنيابـها. صفارة الإنذار تقرع أجراس الحرب الطاحنة. فتنطلق الناس من أماكن عملها هاربة إلى ملجأ تلجأ إليه. التلميذات بدأن يهربن من فصولهن والخوف يلاحقهن. بينما هن كذلك توقفت ياسمين فلقد تذكرت أنـها نسيت كراسة رسمها. رجعت فصلها أخذت تبحث عنه في درجها. وجدته، أمسكت به وضمته إلى فؤادها. أحست بدفء ينساب لجسدها. فطالما رسمت فيه مشاعرها التي لا يمكن أن تعبر بها بلسانها. أخذت تتأمل لوحاتها.

اللوحة الأولى

بحر أزرق اللون وسماء صافية وطيور النورس تطير بحرية.

اللوحة الثانية

حَمَام لونه أبيض يرفرف بجناحيه في السماء حاملاً أوراقاً خضراء.

اللوحة الثالثة

طفل فلسطيني على جبينه عصابة كُتب عليها (القدس لنا) وهو قائم يصلي في المسجد الأقصى.

وبينما هي تتأمل لوحاتها اخترق أذنيها صوت قنابل الحرب. أفاقت من سكرة أحلامها، أمسكت كراستها وألقت نظرة على فصلها حدثته بصوتٍ حزين:

- ربما يا فصلي العزيز لا أعود فتراني مغطاة بكفن الشهادة. أطلقت صرختها بقوة:

- وداعاً.... وداعاً.

وخرجت بسرعة وعند وصولها لبوابة المدرسة استوقفتها وصية والدها.

- عندما تخرجين من المدرسة انتظريني ريثما آتي.

تأملت شوارع المدينة وجدتها مضطربة دخاناً يتصاعد. وطائرات تقصف المباني، اشتد بها الخوف. فأخذت تجري نحو يمين المدرسة. لكن عند وصولها للمنفذ تفاجأت بأنه مدمر لا يمكن المرور منه حاولت أن تجد مخرجاً لكن لم تستطع وبعد محاولات من هنا وهناك استطاعت أن تجد مخرجاً ضيقاً يمكنها العبور منه فعبرت. وفي أثناء عبورها اصطدمت مندهشة مذهولة بأجسادٍ مهشمة في كل ناحية. أشلاء موزعة. أعضاء مقطعة.. يد.. رأس.. رجل..! قد دارت عليها رحى

الحرب حتى طحنتها. وفي تلك الزاوية طفلة نصف جسدها غزته الأحجار. وفي زاوية أخرى شاب أكلته النيران فصيرته رماداً يتضوع منه عطر الشهادة.

أحلام زميلة ياسمين في الفصل والمنافسة الوحيدة لها في التعبير عن المشاعر لكنها عبرت عنه بفن آخر، كتابة الخواطر، تمنت لو أن هذا العالم الأخرس يسمع صدى كلماتها.

نفد صبر أبي ياسمين. قتله الانتظار. فجأة توقفت الغارات الجوية. اغتنم الفرصة للبحث عن ابنته. ارتدى ملابسه وخرج. جسده يزحف والوله ينبض في قلبه. حسبته الطائرات جندياً فرشقته بالرصاص، جسده أصبح مسكناً للرصاص، حاول النهوض لكنه تفاجأ بحملة أخرى من الرصاص. قضى نحبه شهيداً مظلوماً، من غير أن يودع ابنته، تركها في هذه الحياة؛ لتعيش اليتم والفراق.

لازالت ياسمين وأحلام تفتشان عن ملجأ. رجلاهما توقفتا من لهيب الشمس المحرقة. وكأنهما يسيران على قطع من الحديد المنصهر. وبعد مسافات من المشي وجدتا

ظلاً يظللهما من لهيب الشمس، وصلتا فخرتا من التعب أسندتا رأسيهما إلى الجدار، شيئاً مغطى، شدهما الجوع والظمأ إلى معرفته. كشفت ياسمين الغطاء فصرخت مفزوعة، جسداً شبه متفحم. رمى الخوف الفتاتين إلى الجهة الأخرى والرعب جاثم في قلبيهما. تحدثت ياسمين:

- لا مفر لنا يا أحلام من هذه الأجساد فهي قطعة من الأرض.

قالت أحلام وقد مدت جسدها النحيل:

- دعيني أطلق كلماتي المختبئة في فؤادي:

(الجدران بائسة، الطريق مليء بالكآبة

نور الشمس بدأ يهرب، الصمت لا مكان له

الناس أخذت تتناحر على الماء والغذاء

الجوع ....، والعطش يهدد بالموت

الأمن مكبل بالقيود، والأجساد تتقاذف إلى الموت

الأرض تقول: اكتفيت من الأموات)

أحست أحلام بأن الأرض تدور وتدور. لكنها أكملت قذائف كلماتها أخذت ياسمين تجش بالبكاء والأنين.

فؤادها لم يعد يحتمل رؤية تلك المشاهد الأليمة، وطنها تحول إلى بحر من الدم تسبح فيه الأجساد الذابلة. صرخت ياسمين:

تباً للحرب... تباً للحرب ما ذنبنا نحن الصغار؟ إذا كان ذنب الكبار أينك أيها التاريخ؟، لتسطر بقلمك أفظع ما صُنع بهذا الوطن.

لم يستطع أبو ياسمين الخروج من المنزل، بدأ خوفه يزداد شيئاً فشيئاً أصبح يعاتب نفسه ويلومها.

لِمَ تركت ياسمين تخرج؟ لماذا؟ ليتني كنت أعلم أن الحرب ستزحف اليوم:

الويل لك أيتها الحرب الدنيئة. لا أظنك تعرفين الأطفال ولا الشيوخ ولا حتى الجماد حقاً لا تعرفين أحداً. خر إلى الأرض رافعاً كفيه والدمع ينهمر منه كالشلال:

- إلهي أنت تعلم أن ليس لي في هذه الدنيا سوى ابنتي ياسمين. فأعد لي ابنتي يارب.. يارب... لا تخيب أملي.

وها هي ياسمين تحاول اجتياز تلك الأجساد التي أصبحت صدأ في ذاكرتها. فلم تجاوزها إلا بشق

الأنفس. فمرة كادت أن تسقط على جنبيها ومرة كادت أن تعثر بتلك الأجساد. فرت من تلك البقعة وهي تركض. سمعت صوتاً ممزوجاً بالبكاء.

- النجدة ياسمين... ساعديني.

توجهت إلى الصوت رأت جسداً أصابته الجراح. قالت ياسمين:

- أحلام! ماذا أصابك؟

- إنها الحرب.

- هيا معي لنهرب فلا أمان لنا.

- لا أستطيع النهوض ساقي.

كشفت عن ساقيها فوجدت دماً ينزف كالميزاب لا يتوقف.

- إذاً ضعي يدك على كتفي.

وأخذتا بالهروب.

(كأني في يوم الحشر. الظلم تلاشى، والعدل قائم بسيفه. كأني طير فوق السحاب) يا ياسمين إني أ... م... و... ت.، و.. د.. ا... عاً.

- لا تقولين يا أحلام هذا. غداً ستشفين وتكتبين أحلي الكلمات للوطن وأنا أرسم أحلى اللوحات للوطن وننافس أقوي المنافسات.

فجأة شهقت أحلام. صرخت ياسمين:

- أحلام... أجيبيني.

جسد بارد وعينان مفتوحتان والمسكون بارز فيهما. خرجت ياسمين من ظلها أخذت تهيل على رأسها التراب وهي تصرخ:

(أحلام ماتت وأودى غصنها النظر

وقبلها مات فينا العزّ والظفرُ)

ماتت المنافسة الوحيدة. ماتت الكلمات. أخذت ياسمين تجري في الأزقة:

ماتت المنافسة الوحيدة. ماتت الكلمات. أخذت ياسمين تجري في الأزقة:

- أحلام ماتت... تركتني أحلام.

وبينما هي تجري سقطت في مياه ملوثة من بقايا الحرب فدخل في عينيها عدواً لا تعرف. أخذت تئن.

- عيني.. عيني..

سمع أحدهم استنجادها أسرع إليها وأخذها إلى أقرب مستشفى. أدخلها على الطبيب. بدأ الطبيب في علاجها. بعد سويعات أفاقت من نومها وهي تنادي:

- أين أبي؟ أين أنا؟

كان الطبيب بجانبها طمأنها على صحتها. سألته:

- متى سيزال عني هذا الضماد الذي على عيني أيها الطبيب؟

أخفض رأسه وصمت.

- أخبرني أيها الطبيب.

- للأسف فقدت بصرك.

- لا... لا... لا يمكن مستحيل!!!

وبقيت ياسمين على مسرح العالم إنموذجاً من ثقال رحى الحرب الضروس.

* * *